الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي الأغواط

شعبة فلسفة

إشكالية وصل الفلسفة بمشكلات الحياة الراهنة (الفلسفة و البيوتيقا)

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر فلسفة الحضارة

إعداد الطالبة: حورية طيايبة

إشراف الأستاذ: عبد الرحمان خرشي

دفعة: 2016/2015

إهداء

اهدي هذا العمل المتواضع إلى
اعز ما املك في هذا الوجود
عائلتي أمي و أبي أخواتي و
بناتي

و إلى الإنسان الذي دعمني بشكل
خاص زوجي

و إلى صديقتي نورة

حورية

شكر و عرفان

اشكر أستاذي الفاضل عبد الرحمان خرشي و إلى كل من ساعدني في انجاز هذا العمل

و إلى كل الأساتذة الكرام

حورية

مقدمـــــــــــــــــة

إن أخطر التطورات في عصرنا الحاضر، هي تلك التي تحدث في علم يتقدم بلا ضجيج ولا دعاية ،أو أي خبر ينشر على الصفحات الأولى للجرائد وهو علم الحياة' البيولوجيا ' ويؤكد العلماء ،على أنه إذا كان عصرنا هذا قد شهد تغيرات حاسمة وكثيرة في الحياة يعود فضلها إلى علمي الفيزياء والكيمياء فاليوم بدأت تظهر بوادر تدل على أن العلم الذي سيحدث تغيرات جذرية، في العالم وخلال القرن المقبل وربما حتى قبله هو علم الحياة ومن المؤكد أن التقدم العلمي الذي نظر له العلماء بنظرة تفاؤلية واعتبر هو مفتاح نجاة أو تحرر البشرية من سطوة عصور الظلام لكن هل يدوم هذا التفاؤل، في حين يبدوا اليوم وكأن العلم يقود الإنسان إلى التحرر من الإنسان في حد ذاته فهذا العصر الذي نعيشه يشهد نتائج للتقدم العلمي في ميادين مختلفة فلقد أصبح التداخل وثيقا بين المجالات بحيث أصبح العلم يتدخل في تفكيرنا وفي مشاكلنا الأخلاقية كما أصبحت الأخلاق أيضا تسعى إلى توجيه العلم أو على الأقل تستهدف اختباره بطريقة نقدية على أن الاستقلال من الانفصال التام بين العلم والأخلاق إلى التداخل الوثيق بينهما فلقد ،اقتحم العلم ميدان علم النفس والاجتماع إيذانا ببدء عهد جديد يقترب فيه العلم من صميم المشكلات العلمية للإنسان بحيث أصبحنا لا نجد مفرا من البحث في النتائج الأخلاقية للعلم فباقترابه من المنبع الذي تصدر عنه القيم ألا وهو الإنسان فلابد أن يتداخل تأثيره مع تأثير الأخلاق ومن المؤكد أن تقدم العلم سيواجه، الإنسان بمشكلات أخلاقية كبرى وانعكاسات اجتماعية وأخلاقية مترتبة عن عودة الأخلاق من جديد لضبط التقدم الهائل في علم الإحياء ،وبوجه خاص في ميادين الطب وعلوم الهندسة الوراثية وهي سمة واضحة في هذا العصر فإذا كان هذا التطور النوعي ينعش الآمال، في إمكانية تحسين ظروف حياة الإنسان فإنه في الوقت ذاته يخلق إشكالات أخلاقية جديدة

وغير مسبوقة إشكالات أضحت تهدد بزعزعة مبادئ وقيم أخلاقية ولقد توج هذا الوعي الأخلاقي المعاصر المتسم بالحذر والقلق بنشأة مجال فكري جديد يهتم بالقضايا الأخلاقية الناجمة عن التقدم الحاصل في ميادين العلوم الطبية والبيولوجية المعاصرة وخاصة في الهندسة الوراثية ويحمل هذا المبحث المعرفي الناشئ اسم **بيوإتيقا** ولقد وضحنا معناه في الفصل التمهيدي وتاريخ ظهوره ولقد تناولنا بعض من جوانب هذه الإشكالات الجديدة :منها الإخصاب الصناعي الهندسة الوراثية الاستنساخ وهناك وجه آخر للتقدم منها النساء المؤجرات لأرحامهن وزراعة الأعضاء وعلاقة البيوتيقا بالمجالات الأخرى القانون السياسة وحقوق الإنسان .

تمهيد

ننطلق من قوله جل وعلا {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا }[1]

لقد خص الله بني آدم بالتفكير على باقي الكائنات الحية ،بالفكر والمعرفة والقيم الأخلاقية ولقد وهبه قدرات غير محدودة في الإبداع والابتكار ووهبه قدرة عالية على اكتساب الخبرة والتحكم فيها للوصول إلى التطور التكنولوجي

والحضاري ولكن هذا التطور في العصر الحديث شهد طفرة أحدثت تغييرا فارقا في الحياة البشرية، وخاصة بعد التقدم المذهل الذي حققته العلوم الطبية في مجال الهندسة الوراثية والتحكم في الجينات،فهكذا تسارعت وتيرة التطور وغرق العالم في قضايا علمية واجتماعية وأخلاقية ودينية جعلت وجهات النضر تختلف من مؤيد إلى معارض ولقد نتج عن كل هذا ظهور مبحث معرفي جديد يعرف بالبيوتيقا ومنه تبادر إلى أذهاننا

الإشكال التالي:

كيف يتم وصل الفلسفة بمشكلات الحياة الراهنة ؟

*ماذا نعني بالبيوتيقا وما علاقتها بالفلسفة ؟

*ما هي الإشكالات الأخلاقية الجديدة في عصرنا؟

[1] سورة الإسراء الآية 70.

*وما هي الأوجه الأخرى المتحققة في علوم الصحة والحياة؟

*ما هي علاقة البيوتيقا بالمجلات السياسية والدينية والقانونية؟

أسباب اختيار الموضوع

لسببين تم اختاري للموضوع وهما

إن هذا الموضوع جديد على مستوى جامعتنا وكذا لطابعه العلمي الشيق ،فهو يدخل ضمن فلسفة العلوم .

أهمية البحث:

تتجلى أهمية الدراسة في كونها تعالج قضايا فلسفية ذات علاقة بالواقع المعيش وهي تجمع بين مجالات عدة الفلسفة والأخلاق والطب والقانون فهو دراسة فلسفية لقضايا لا تثير الكثير من الضجيج في حين أنها تتقدم بخطى ثابتة وهي تسري وتتسرب إلينا في صمت.

أهداف الدراسة:

1 إثبات أن الفلسفة ليست معزولة في برجها العاجي عن الواقع بل أنها تنزل لأرض الواقع لتناقش لنا قضايا

من الواقع المعيش .

2 محاولة منا بسيطة ومتواضعة لتوضيح ما تعنيه البيوتيقا والمجلات التي تتداولها.

الدراسات السابقة

الدراسة الأولى: وتمثلت في كتاب :ناهدة البقصمي،الهندسة الوراثية والأخلاق ،ولقد تحصلت على الكتاب في نسخته الالكترونية من مكتبة الخالدية ،سلسلة المعرفة

وهو الكتاب الذي كان في صلب الموضوع أخلاقيات الطب والبيولوجيا ،وهو يتناول مجموعة من القضايا التي تثيرها التطورات العلمية والتكنولوجية في ميدان الطب والهندسة الوراثية ومنها الإنجاب الصناعي والهندسة الوراثية الاستنساخ وتحسين السلالة البشرية

الإشكالية التي يطرحها :أهمية الفلسفة في مناقشة الإشكالات الأخلاقية الجديدة

أهم النتائج المتوصل إليها:إن الكاتبة لم يكن هدفها التوصل إلى حل لهذه المشكلات الأخلاقية وإنما إثارتها وتوضيحها للوعي.

بالإضافة إلى دراسات أخرى

*سعيد الحفار،البيولوجيا ومصير الإنسان ،الكتاب يعرف بالتطور السريع في مجال علم البيولوجيا والمفاهيم الجديدة للحياة والإنسان .

*فؤاد زكرياء ،التفكير العلمي ليس فيه ذكر لأخلاق الطب البيولوجيا لأن هذا الكتاب كتب قبل ان تتضح معالم هذا البحث.

المنهج المستعمل في هذه الدراسة :

استعنت بالمنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي

مصطلحات الدراسة:

البيوإتيك:أخلاقيات الطب و البيولوجيا ،أو أخلاقيات علم الأحياء

الهندسة الوراثية:هي القدرة على تمييز الجينات مباشرة و باستخدام طرائق جديدة للتكنولوجيا الحيوية.

تحسين السلالة: هو التخلص من الصفات الغير مرغوب فيها و الإكثار من فرص ظهور الصفات الجيدة ومطلوبة

الاستنساخ: هو عبارة عن زرع خلية إنسانية أو حيوانية تحتوي على المحتوى الوراثي كاملا في رحم طبيعي أو صناعي وذلك بغض إنتاج كائن حي ،حيوان أو إنسان ،طبق الأصل من نظيره صاحب الخلية الأولى.

االأم البديلة: هي التي تحمل في رحمها جنين هي ليست أمه الأصلية

الجين:هو مفرد جينات وهي الوحدات الأساسية المكونة للخلايا الحية .

الحامض الصبغي النووي :هو DNA

صعوبات الدراسة:

تمثلت صعوبات البحث في تشعب البحث وشموليته لأنه يمس عدة مجالات وكذلك صعوبة هذا النوع من البحث لتغلب الجانب العلمي عليه وكذلك عدم حصولي على كتاب:د، علي عبود المحمداوي ،إضافة إلى ضيق الوقت المبرمج لإعداد المذكرة مع مسؤوليات الأسرة والبنتين .

خطة الدراسة:

نستهل بحثنا بمقدمة هي عبارة عن لمحة فلسفية حول موضوع الدراسة والتمهيد للإشكال المراد دراسته ثم الفصل الأول وهو الفصل المنهجي للدراسة يتضمن الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية والفصل الثاني هو مدخل مفاهيمي يتضمن مبحث عن مفهوم البيوتيقا وأصل الكلمة و مفهوم الأخلاق البيوتيقا والفلسفة

ثم الفصل الثالث بعنوان :الإشكالات الأخلاقية الجديدة يتضمن الإخصاب بنوعيه و الثورة في الهندسة الوراثية ومدى مشروعية الاستنساخ ثم الفصل الرابع بعنوان:وجه آخر للتقدم المتحقق في علوم الطبيعة والحياة ويتضمن مهنة النساء الحاضنات و المؤجرات لأرحامهن والطابع التجاري لزراعة الأعضاء والرأسمالية البيولوجية ثم الفصل الخامس بعنوان:علاقة البيوتيقا بالمجالات الأخرى ويتضمن البيوتيقا وحقوق الإنسان والسياسة والدين و البيوتيقا والبحث العلمي و البيوتيقا والقانون و البيوتيقا في الوطن العربي والمبحث الأخير نظرة نقدية للبيوتيقا.

تمهيد:

ظهرت أخلاقيات الطب و البيولوجيا في مستهل السبعينات من القرن الماضي كتخصص جديد يهتم بالمشاكل الأخلاقية التي تطرحها الممارسة العلمية والتكنولوجية في ميداني الطب و البيولوجيا فقد عرفت هذه الميادين ثورة علمية وتكنولوجية منذ أواسط القرن الماضي، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية التي امتازت بالسبق العلمي والتكنولوجي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ونتجت عن تلك الثورة العلمية والتكنولوجية مشاكل أخلاقية غير مسبوقة اتضح أن الفكر الأخلاقي الكلاسيكي عاجز عن استيعابها وتقديم الحلول المناسبة لها.

المبحث الأول: ماذا نعني بالبيوتيقا

المطلب الأول: مفهوم البيوتيقا لغة

ترجم هذا المصطلح الجديد الذي استعمله عالم السرطان الأمريكي "فان بوتر رينسلاير Van Potter Rensselayer" إلى الفرنسية بمصطلح "La bioéthique"، أما في اللغة العربية فترجم بمعنى الأخلاق أو الأخلاقيات الطبية كما يحيل شقه الأول في اللغة الفرنسية "Bio" إلى علوم الحياة أو البيولوجيا.[1]

المطلب الثاني: مفهوم البيوتيقا اصطلاحا

الأخلاق البيولوجية والطبية أو الأخلاق البيوطبية أو ما يعرف الآن بالبيوتيقا

هي احد فروع الأخلاق التطبيقية وقد استخدم لفظ البيوتيقا لأول مرة عام 1970 من قبل العالم الأمريكي فان بوتر المتخصص في طب السرطان حينما كتب مقالا بعنوان البيوتيقا على البقاء وقد ظهرت عدة تعريفات لهذا العلم الجديد في الأخلاق التطبيقية منها :

تعريف الفيلسوفة الفرنسية جاكلين روس البيوتيقا في كتابها الفكر الأخلاقي المعاصر بأنها علم معياري يهتم بالسلوك الإنساني الذي يمكن قبوله في إطار القضايا المتعلقة بالحياة والموت وهو يشتمل على دراسات تجمع بين تخصصات عديدة تهتم جميعا بمجموعة الشروط التي يتطلبها التسيير المسئول للحياة الإنسانية في ظل التقدم السريع والمعقد للمعارف والتكنولوجيا الحديثة للطب و البيولوجيا

يعرف ديفيد روا مدير مركز البيوتيقا بمونتريال البيوتيقا بأنها الدراسة متعددة الاختصاصات لمجموعة الشروط التي يؤمنها التسيير المسئول للحياة البشرية أو للشخص البشرى في إطار التطورات السريعة والمعقدة للمعارف والتقنيات البيوطبية "[2]

يؤكد التعريفان على إن البيوتيقا هي الدراسة الفلسفية للجدل الأخلاقي الذي أوجده التقدم الكبير الذي أحرزته العلوم البيولوجية والطبية وما ترتب عليها من إشكاليات ومسائل أخلاقية لا تتعلق فقط بمجالات علوم الحياة والتكنولوجيات الحديثة في علم الطب بل أيضا تتعلق بمجالات عديدة أخرى مثل : السياسة والقانون والدين إلى جانب الفلسفة .

نقل الأعضاء بين الإحياء والموتى ومدى مشروعية الاتجار بالأعضاء وتبعات ذلك

مدى مشروعية التجريب على الأشخاص والأنسجة البشرية"[3]

---

[1] يرغين هابرماس، **مستقبل الطبيعة الإنسانيّة– نحو نسالة ليبراليّة**، تر:جورج كتوره، ط1،المكتبة الشرقيّة، بيروت، 2006، ص.90

[2] المرجع نفسه ص91

[3] **رجاء بن سلامة ،مقال: البيوطيقا: سلطة التّقنية وتنافر القيم**، 2.ماي 2016، موقع: حصاد، رابط المقال:
http://vf11.blogspot.com/2009/12/blog-post_1383.html

المبحث الثاني: أصل التسمية وتاريخها

المطلب الأول: الأصل الأول لظهور فلسفة البيوتيقا

أما الجذور النظرية التي يرجع إليها الفكر الأخلاقي الجديد الذي تبلور في ميادين الطب و البيولوجيا فيرجعها بعض الباحثين إلى المرحلة اليونانية: سواء تعلق الأمر بالثورة الطبية والبيولوجية أو بالثورة الأخلاقية المصاحبة لها. بالنسبة للمستوى الأول، يربط بعض الباحثين الثورة الطبية البيولوجية بالأساطير اليونانية التي تناول بعضها موضوع الإنسان القوي بفضل معارفه التي مكنته من إخضاع الطبيعة وتسخيرها لصالحه، والإشارة هنا بالخصوص إلى بطل أسطورة "النار المقدسة" بروميثيوس وعالج بعضها الآخر موضوع تطور الإنسان وتشبهه بالآلهة على مستوى قدراته، والإحالة هنا إلى "أنصاف الآلهة" في الميثولوجيا الإغريقية، وإلى المسوخ والهجائن التي تناولتها تلك الميثولوجيا بشكل مسهب"[1]

كما يحيل بعض الباحثين، في إطار نظرية تحسين النسل، إلى أفلاطون واقتراحه في جمهوريته تزويج الأقوياء من الجنسين بعضهم ببعض وتعقيم الضعاف والتخلص من العجزة كإحدى سبل تحقيق المجتمع المثالي. أما المستوى الثاني، فتتم الإحالة بشأنه إلى أبوقراط وقسمه المشهور الذي ضمّنه بعض القواعد الأخلاقية الموجهة للأطباء أثناء مزاولتهم لمهنتهم والتي ما زال تأثيرها قائما إلى اليوم وإلى أرسطو في إطار نظريته الأخلاقية التي تقوم على الحيطة والحذر، والحكمة والتعقل والتي تعتبر موجها أخلاقيا أساسيا للممارسة في ميادين الطب و البيولوجيا"[2]

المطلب الثاني: مراحل الفكر البيوتيقي

مر الفكر البيوإتيقي بثلاثة مراحل أساسية ومرحلة تمهيدية ينعتها البعض بـــ "مرحلة ما قبل البيوإتيقا" وترجع إلى الفترة اليونانية مع "قسم أبوقراط" وما تلاه من حقب تاريخية تميزت بهيمنة "السلطة الأبوية للطبيب"، وقد عرفت الفترة الأخيرة من هذه المرحلة سعيا حقيقيا للتخلص من الخطاب الأخلاقي الكلاسيكي الذي يستند على السلطة الأبوية للأطباء أما المرحلة البيوإتيقية الأولى المعروفة "بالمرحلة الأخلاقية واللاهوتية" فتتميز بتأسيس "مبحث البيوإتيقا" بطابعه البيئي الشمولي الذي أكد علية مبدع المصطلح "بوتر"، وبتأسيس لجان الأخلاقيات الأولى وإرساء خطاب أخلاقي جديد قادر على مسايرة التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل الذي عرفته تلك الميادين ورغم ذلك عرفت هذه المرحلة صراعا قويا بين الفلاسفة ورجال القانون الذين حاولوا جاهدين إضفاء الصبغة العلمانية على الفكر البيوإتيقي وبين رجال الدين المسيحين الذين نجحوا في بسط هيمنة الخطاب الديني على الحركة البيوإتيقية

في بداية نشأتها"[3]

---

[1]. رجاء بن سلامة، مرجع سابق

[2] المرجع نفسه

[3] مصطفى القلعي ،من مقال منشور باللغة الفرنسية، **البيوطيقا سلطة التقنيّة وتنافر القيم** ، **رابط المقال**: http://souad-anfal.blogspot.com/2011/05/1.html

وتتميز المرحلة البيوإتيقية الثالثة المعروفة بـــ"المرحلة القانونية والفلسفية" بتراجع تصور "بوتر" أمام تصور "هيليغرز" الذي ينازعه السبق في استعمال المصطلح، وهكذا سيتمحور اهتمام المفكرين في هذه المرحلة حول المواضيع والقضايا الطبية، وخاصة ما يتعلق بالتطور الذي عرفته العلاقة بين الطبيب والمريض والشكل الجديد للقرار الطبي الذي أصبح يشارك فيه أشخاص قادمون من خارج ميدان الطب وما يرتبط بهما من قضايا مثل "الاستقلال الذاتي للمريض" وعدم إفشاء أسراره واحترام حياته الخاصة وفي المرحلة الأخيرة التي هيمن فيها الطابع التجاري والاقتصادي، سيتم الاهتمام بمشاكل الصحة العمومية وما يرتبط بها من قضايا توزيع الموارد وتحديد من سيستفيد أولا من العلاج الطبي وولوج المرافق الصحية المختلفة. بالموازاة مع ذلك، سترجع الاهتمامات الأخلاقية والدينية بقوة وسيوجه اللوم والنقد للمقاربة القانونية التي يطبعها الجفاء وترجح كفة التعاقد في ميدان يحتاج أكثر إلى الإحسان والمواساة والعلاقة الإنسانية الحميمة"[1]

المبحث الثالث: مفهوم الأخلاق التطبيقية والأخلاق البيوتيقية

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق التطبيقية

هي مجموعة من القواعد الأخلاقية العملية تسعى لتنظيم الممارسة داخل مختلف ميادين العلم والتكنولوجيا وما يرتبط بها من أنشطة اجتماعية واقتصادية ومهنية، كما تحاول أن تحل المشاكل الأخلاقية التي تطرحها تلك الميادين، لا انطلاقا من معايير أخلاقية جاهزة ومطلقة، بل اعتمادا على ما يتم التوصل إليه بواسطة التداول والتوافق، وعلى المعالجة الأخلاقية للحالات الخاصة والمعقدة أو المستعصية وفيما يلي أبرز مجالات الأخلاقيات التطبيقية أخلاقيات الطب و البيولوجيا أو البيوتيقا التي ترتبط بميدان علوم الحياة وما يطرحه، بعد تبلور ما يعرف بتكنولوجيا الحياة من تساؤلات تتعلق بالإنجاب الاصطناعي ومفهوم الأمومة ومفهوم البنوة ومفهوم الهوية البيولوجية

أخلاقيات البيئة التي ترتبط بميدان البيئة وما يطرحه من تساؤلات أهمها: هل ستستمر موارد البيئة دون نفاذ كما تنم عن ذلك الطريقة التي نستغل بها تلك الموارد وإذا علمنا ما ينتظر تلك الموارد من نضوب هل نعطي الأولوية للتنمية الاقتصادية فنستمر في استغلالها بشكل مكثف أم نعطي الأولوية للحفاظ على موارد البيئة وحمايتها من الاستغلال المفرط ولو على حساب التنمية الاقتصادية وما هو الإنسان الجديد الذي تبشر به الفلسفة البيئية وما هي أهم التيارات البيئية التي يجري بينها حوار حول المعضلات البيئية الأساسية"[2]

---

[1] نبيل فياض ،مرجع سابق

[2] دراسة منشورة ،مرجع سابق ،ص129-137.

المطلب الثاني: مفهوم الأخلاق البيوتيقية

ظهرت أخلاقيات الطب و البيولوجيا في مستهل السبعينات من القرن الماضي كتخصص جديد يهتم بالمشاكل الأخلاقية التي تطرحها الممارسة العلمية والتكنولوجية في ميادين الطب و البيولوجيا والصحة فقد عرفت هذه الميادين ثورة علمية وتكنولوجية منذ أواسط القرن الماضي، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية التي امتازت بالسبق العلمي والتكنولوجي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ونتجت عن تلك الثورة العلمية والتكنولوجية مشاكل أخلاقية غير مسبوقة اتضح أن الفكر الأخلاقي الكلاسيكي عاجز عن استيعابها وتقديم الحلول المناسبة لها

تزامنت تلك الثورة العلمية والتكنولوجية مع ثورة اجتماعية وثقافية، تجلت داخل الولايات المتحدة الأمريكية في تبلور حركات اجتماعية ثقافية تطالب بمجموعة من الحقوق المدنية كالمساواة بين الجنسين وتمكين المرضى من حقهم في تقرير المصير، وما صاحب ذلك من مواجهة لمختلف المؤسسات التي كانت ترمز للسلطة الاجتماعية وخاصة منها سلطة الأطباء والباحثين التي بدأت تثير الكثير من الجدال والنقاش منذ أواسط القرن الماضي

في إطار ربط الفكر بالسياق الثقافي والاجتماعي الذي ظهر فيه، لابد من الوقوف عند هذه الحركة الاجتماعية التي عرفها المجتمع الأمريكي أواخر الستينات من القرن الماضي، والتي كان من مظاهرها البارزة مواجهة السلطة الطبية، خاصة بعد أن أصبح الأطباء وبعض المشتغلين بمهام البحث العلمي في مختلف ميادين الطب والصحة، يقومون بممارسات تتعارض مع المبادئ والقواعد التي تقوم عليها أخلاقيات مهنة الطب إن البيوإتيقا بهذا تترجم في جانب من جوانبها موجة السخط والنقمة التي عبرت عنها فئات عريضة من المجتمع الأمريكي تجاه فئة من الباحثين في ميدان الطب، أجبرت فئات من الأطفال والزنوج والسجناء والعجزة على الخضوع لتجارب طبية خطيرة، دون أخذ موافقتهم أو إخبارهم بما قد ينجم عنها من انعكاسات سلبية على صحتهم وحياتهم، علما بأن هذه الفئات كان من المفروض أن تكون محط عنايتهم ورعايتهم الطبية كان ذلك من أبرز العوامل التي دفعت للتفكير في تطوير الفكر الأخلاقي، وبالفعل تبلورت منذ ذلك الوقت طرق جديدة للتعامل مع المشاكل الأخلاقية التي تطرحها الممارسة الطبية، ولمواجهة ما تتعرض له الكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان من انتهاك في إطار أبحاث وتجارب الطب و البيولوجيا "[1]

[1] عمر بوفتاس، **أثر فلسفة الحق الكانطية في تأسيس البيوإتيقا**، ضمن أعمال المائدة المستديرة: فلسفة الحق كانط والفلسفة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2007، ص242-263.

المبحث الرابع: البيوتيقا والفلسفة

المطلب الأول: علاقة البيوتيقا بالفلسفة

هناك ارتباط كبير بين البيوتيقا والفلسفة والذي تتضح معالمه على النحو التالي :

البيوتيقا هي فكر أخلاقي جديد أي تجديد لمبحث أو فرع أساسي من فروع الفلسفة وهو الأكسجين حسب التقسيم الكلاسيكي للفلسفة إلى ثلاثة مباحث أساسية هي الانطولوجيا

أو مبحث الوجود والابستومولوجيا أو مبحث المعرفة والاكسيولوجيا أو مبحث القيم

كان للفلاسفة دور كبير في نشأة البيوتيقا وتطورها وهذا ما يجسده جهود الكثير من الفلاسفة أمثال

دانيال كالاهان : هذا الفيلسوف قد أسس مركز هاستيغز الذي اهتم بنشر الفكر البيوتيقى والتعريف به وكان من أهم انجازاته تأسيس المجلة الناطقة باسم البيوتيقا والمشاركة في تأليف أول موسوعة بيوتيقية

هاتس يوناس : ذلك الفيلسوف الألماني الذي ساهم بأفكاره في عالمية الفكر البيوتيقى

التأكيد على الطابع الشمولي للبيوتيقا وذلك من خلال ربطها بأخلاقيات البيئة

تطوير احد المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها الفكر البيوتيقى وهو مفهوم المسؤولية

تنبيهه إلى خطورة الأبحاث الطبية بشكل خاص والأبحاث والتجارب العلمية بشكل عام ليس

على حاضر الإنسانية فحسب بل وعلى مستقبلها أيضا "[1]

يتجلى الحضور القوى للفلسفة في الفكر البيوتيقى في تشكيله اللجان الأخلاقية التي صاحبت نشأته وتطوره فقد كان الفلاسفة من ابرز أعضاء هذه اللجان

حاول أقطاب الفكر البيوتيقى أن يؤكدوا على الطابع العلمي والعملي والواقعي للفكر البيوتيقي

دور الفكر البيوتيقى في تجديد و أغناء مضامين بعض المفاهيم والمصطلحات القديمة وعلى رأس هذه المفاهيم نجد مفاهيم أخلاقية أساسية مثل : مفهوم الحق والواجب والخير وهذا من صميم الفلسفة وقيمها

أتاح الفكر البيوتيقى مناقشات عميقة لقضايا فلسفية أصلية ترتبط بالذات والشخص والحياة والموت والوجود والمصير والعلاقة مع الأخر وغيرها وذلك في وسط جميع الفئات الاجتماعية وليس وسط الاختصاصين وحدهم إن ما أفرزته التكنولوجيا الحيوية من قضايا متعددة بدءا بأطفال الأنابيب ، ووصولا إلى وضع الخريطة الجينية للإنسان ومرورا بالأرحام المستأجرة والبنوك الحيوية وزرع الأعضاء والتحكم في الدماغ البشرى والاستنساخ تطرح " إشكاليات أخلاقية " تثير اليوم الكثير من الجدل الفلسفي والقانوني والديني

[1] عمر بوفتاس، مرجع سابق ،ص270.

يؤدى الفكر البيوتيقى إلى ترسيخ قيم الديمقراطية والحوار وحقوق الإنسان خلال القرن الواحد والعشرين وذلك من خلال مناقشة القضايا ذات البعد الفلسفي والقانون والديني"[1]

خلاصة الفصل

تزامن التفكير في وضع قواعد أخلاقية جديدة توجه الممارسة الطبية و البيولوجية مع تبلور فكر أخلاقي تطبيقي طال عدة ميادين التجارة والبيئة والإعلام ،وقد أدى كل ذلك إلى استبدال مصطلح الأخلاق بمصطلح الأخلاقيات التطبيقية كما سبقت الإشارة إلى ذلك وفي هذا السياق ظهر مصطلح جديد للتعبير عن المبحث الأخلاقي الجديد الذي يعالج المشاكل الأخلاقية التي تثيرها ثورة الطب

و البيولوجيا وهو مصطلح Bioethicsترجم هذا المصطلح الجديد الذي استعمله عالم السرطان الأمريكي فان بوتر رينسلاير Potter Rensselayer Van إلى الفرنسية بمصطلح La bioéthique أما في اللغة العربية فيمكن تقسيم محاولات ترجمة هذا المصطلح الجديد إلى ثلاثة أقسام :يحاول القسم الأول أن يبحث للمصطلح عن مقابل في اللغة العربية وهي محاولة صعبة لأن المصطلح مشتق في الأصل من كلمتين يونانيتين هما :Bios بمعنى الحياة وEthos Ethique بمعنى الأخلاق أو الأخلاقيات كما يحيل شقه الأول في اللغة الفرنسية Bio إلى العلوم الحياة أو البيولوجيا لذلك نجد من يترجم المصطلح ب"الأخلاق الطبية " أو"أخلاقيات الطب" أو" أخلاقيات علوم الصحة والحياة" بينما يحاول القسم الثاني الدمج بين جزء من المعني العربي وجزء من المصطلح اللاتيني وأخيرا تسعى المحاولة الثالثة إلى تجاوز فوضى الترجمة بالإبقاء على الكلمة اللاتينية وهذا ما نجده عند الذين ترجموا الكلمة ب" البيوإتيك".

[1] يوسف عبد الرحمن، **قضايا فقهيه معاصرة**،دار الفكر العربي ,2004 ،القاهرة ,ص22.

تمهيد:

عندما كانت الوراثة في الإنسان متشابكة وغير واضحة المعالم كان لزاما على الإنسان أن يواجه بخشوع

وتواضع وحرص التدخل المرتقب في صميمها،فلقد ظل التطور العلمي للجنس البشري يتقدم منذ عصور ونحن ندين لهذا التطور بأفضل الأشياء ولكننا ندين له أيضا بالكثير مما يسبب المعاناة للبشر وسيحدد مصيره سلبا أو إيجابا.

المبحث الأول: مشكلات الولادة والإنجاب الاصطناعي

المطلب الأول:الإخصاب الصناعي

يقول روبرت اوبنهايمر" إن عالمنا اليوم عالم جديد وقد تغيرت فيه مفاهيم عدة مثل وحدة المعرفة وطبيعة المجتمعات الإنسانية ونظام المجتمع ونظم الأفكار لا بل إن مفهوم المجتمع نفسه والثقافة قد أصابهما التغيير ولن يعود أي من هذه المفاهيم إلى ما كان عليه في الماضي"[1]

فمنذ سنوات السبعينات عرفت التكنولوجيا الطب و البيولوجيا طفرة غيرت من قدرة الإنسان ليتحكم في عملية الإخصاب والإنجاب فقد تعددت وسائل" منع الحمل وبات من الممكن علاج أشكال كثيرة من العقم فلقد توصل علم الأجنة إلى إيجاد طريقتين لعلاج العقم وهما (*الإخصاب الصناعي ،الإخصاب خارج الرحم أو ما يعرف بأطفال الأنابيب*)"[2]

و لكن قبل أن نتطرق لعملية الإخصاب الصناعي وما يترتب عنها نعرف بعلم الأجنة

"هو علم يهتم بدراسة تركيب وتطور الكائن الحي منذ مرحلة التلقيح حتى لحظة الولادة

أي حين يكون الكائن الحي في المرحلة الجنينية"[3]

بمعنى أن هذا العلم يقوم بالدراسة و العمل على الكائن البشري منذ اللحظة الأولى للإخصاب وحتى لحظة الولادة أي في مرحلة الحمل وكما أسلفنا إن هذا العلم وجد حلا لمشكلة العقم بفضل طرق الإخصاب

1زهير الكرمي، **العلم ومشكلات الإنسان المعاصر**، العدد 5،دط،الكويت،1978،ص238

[2] فؤاد زكريا،**التفكير العلمي**،العدد3،دط،الكويت،1978،ص30

[3] ناهدة البقصمي ،**الهندسة الوراثية و الأخلاق**،العدد174،دط،الكويت،1993 ص 76

الإخصاب الصناعي :

ولا يقصد به أنه لا يستخدم السائل المنوي وإنما المقصود هو أن العملية تكون صناعية أي أن التلقيح يكون بواسطة أداة للتلقيح الصناعي فهي تختلف عن الطريقة الطبيعية "وأول عملية إخصاب صناعي تمت على أساس طبي كانت في عام 1884 "[1]

وذلك حين عرض رجل غني حالته على طبيب مختص فبينت الفحوصات على أن الزوج هو السبب في عدم الإنجاب .

والطبيب بدوره عرض الحالة على تلاميذه في كلية الطب للمناقشة، وبعد مناقشة الحالة أقنعه تلاميذه بأخذ سائل منوي من أكثر التلاميذ ذكاء، ويلقح به زوجة الرجل الغني وهكذا حين جاءت الزوجة للفحص قام الطبيب بحقن الزوجة بالسائل المنوي وبعد ما تم الحمل والإنجاب، قرر الطبيب أن يخبر الرجل بالسر ،وحين عرف الزوج تقبل الموضوع ولكنه لم يخبر زوجته بما حدث .

وعملية الإخصاب الصناعي الحديثة هي عبارة عن تلقيح البويضة بواسطة وسائل طبية بسائل منوي تم جمعه من الزوج فتسمى العملية الإخصاب الصناعي عن طريق الزوج أو عن طريق متطوع فتسمى إخصاب صناعي عن طريق متطوع أو يتم مزج سائل الزوج والمتطوع معا لضمان الحمل.

ولا تتم هذه العملية إلا بعد فحص دقيق و التأكد التام من عقم أحد الزوجين أو كلاهما-فمن أسباب اللجوء إلى هذه الطريقة هو ضعف يمنع إتمام الحمل أو الخوف من انتقال مرض وراثي إلى الأطفال وفي هذه الحالة يستعان بالمتطوع مقابل أجر أحياناً وإذا كانت الزوجة غير قادرة على الحمل ففي هذه الحالة يستعان بامرأة تحمل بدلا عنها ويطلق عليها اسم الأم البديلة فهذه الطرق أثارت الكثير من القضايا و المشكلات الأخلاقية والاجتماعية والدينية

[1] ناهدة البقصمي ، مرجع سابق ،ص76

"بصورة واضحة كل الوضوح حقيقة أساسية هي أن التقدم العلمي المعاصر يسير في طريق تفجير النظم الاجتماعية" [1] ويجرنا للتساؤلات الآتية

"هل نحن نهدر كرامة الإنسان بلجوئنا إلى مثل هذه الوسائل ؟ وما هو وضع الجنين من الوجهة الأخلاقية في هذه الحالة ؟ هل نتعامل معه على انه "شخص" أم أنه مجرد كائن حي ؟ وإذا كان شخص كامل النمو فما هي حقوقهم السنا نلغي أهمية حياة الإنسان حين نلجأ إلى هذه الوسائل ؟ وأخيرا ما هو رأي القانون والدين في هذه العملية

وكما أنا البيولوجيا الجزيئية أصبحت اليوم تمتلك وسائل متطورة للاحتفاظ بالحيوانات المنوية لفترة طويلة عن طريق تجميدها وتخزينها لغرض استعمالها في المستقبل وذلك بفضل إنشاء بنك للحيوانات المنوية" [2] والفكرة الأساسية لإنشاء هذا البنك هو أن يحتفظ أحد التجار الأمريكان بالسائل المنوي للعباقرة واستعماله فيما بعد لميلاد أطفال عباقرة ويدخل هذا ضمن تحسين في نوعية الجنس البشري الذي خصصنا له مبحث بعنوان هل يجوز أخلاقيا التفكير في تعديل قدرات الإنسان ؟

نعود إلى موضوعنا وهو الإخصاب الصناعي فبعدما تحول الإنجاب إلى عملية تكنولوجية بعد أن كان إنسانياً مائة في المائة

ونتيجة هذا التحول أثارت ردود أفعال أخلاقية واجتماعية فإن الإخصاب الاصطناعي "لم يكن ناجحا أو مقبولا من الناحية الأخلاقية والاجتماعية دائماً ولذلك لجأ الأطباء إلى طريقة أخرى –لحل هذه المشكلة– وهي الإخصاب الصناعي خارج الرحم "[3]

[1] فؤاد زكريا،مرجع سابق ،ص 202
[2] ناهدة البقصمي ،مرجع سابق، ص77
[3] المرجع نفسه، ص 80

المطلب الثاني:الإخصاب خارج الرحم

وتتم عملية الإخصاب خارج الرحم أي في زجاجة اختبار وتترك البويضة المخصبة فترة معينة لتنمو ثم بعد ذلك يتم زرعها في رحم الأم ليست بالضرورة هي أمه الأصلية ، ونذكر بأن أول تجربة ناجحة من هذا النوع في العالم تم الإعلان عنها في انجلترا سنة "1978وولدت أول طفلة أنبوب لويز براون على يد الدكتور باتراك ستبتو والعالم الفسيولوجي روبرت إدواردز ...حيث كان لها دور عظيم في أنحاء المعمورة إذ أن الأمل بدأ يشرق

أمام الكثير من نساء العالم وخاصة اللاتي كن يعانينا من انسداد في قناة فالوب" [1]

ليس هناك أدنى شك لما تكتسبه هذه الأبحاث الجديدة للولادة والإنجاب الاصطناعي والتشخيص المبكر لأمراض الأجنة من فوائد تظهر جليا فلقد أعادت الأمل إلى الكثير من الأسر لما ساهمت بفعالية في معالجة أشكال من العقم وفي الوقاية من بعض الأمراض الوراثية وبالرغم من كل هذا "فمن غير المعقول على ما يبدوا أن تعالج هذه المشاكل عن طريق العلم"[2] وحده فلابد من تدخل الأخلاق وبتدخلها أثارت زوبعة من التساؤلات والاحتجاجات وقد عرّضت القيم الأخلاقية لهزة عنيفة"وانقسم المجتمع إلى قسمين مؤيد يرى فيه حلاً لمشكلة العقم ومعارض يدعوا إلى إيقاف مثل هذا العبث"[3]

فلقد جعلت نتائجها وتطبيقات البشرية أمام وضعيات أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها فريدة من نوعها في التاريخ البشري ،فلقد جعلتها تواجه المبادئ الأخلاقية والقيم الاجتماعية المترسخة والضاربة بجذورها في المعتقدات والثقافات الإنسانية منذ عصور غابرة الأزمان

[1] محمد الربيعي، **الوراثة والإنسان**،العدد ،100،دط،الكويت،1986،ص147.
[2] فؤاد زكريا ،مرجع سابق،ص203.
[3] ناهدة البقصمي، مرجع سابق،ص 80

وأفضل مثال على هذا في مسألة الإخصاب الصناعي حين يتم اللجوء إلى المتبرع بالسائل المنوي "مجهول الهوية وفي الغالب لا يعرفه حتى الطبيب وكل ما يمكن الحصول عليه من معلومات هو الصفات الخارجية التي تساعد في عملية الاختيار " [1]

في هذه الحالة يوجد تدخل لطرف ثالث في عملية الإخصاب فهذا من الناحية الأخلاقية يؤدي إلى خلخلة المفاهيم التقليدية عن الأسرة كمؤسسة اجتماعية أساسية والى نتائج تتعارض مع القيم الأخلاقية التي تكونت منذ بزوغ فجر التاريخ البشري .

فبهذا يفقد الزواج قدسيته و مفهوم العائلةأو"الأسرة يقترب من نقطة الانقراض التام"[2] يسلب احترامه وحتى هذا المولود الذي جاء كنتيجة لعملية تلقيح من متبرع فالأكيد أنه لن يتعرف إلى من كان سببا في وجوده أبداً وهكذا سيظل الأطفال المولودين بهذه الطريقة جاهلين لأصولهم إلى الأبد فأمام معطيات جديدة مثل هذه إلى ماذا ستتحول المفاهيم التي شكلت لنا النسيج الثقافي والحضاري مثل الأسرة الزواج الأبوة والأمومة والقرابة والنسب؟

المطلب الثالث:الموقف الديني من الإخصاب بنوعيه

على مر السنين دائما ما يهتم رجال الدين بكل مشاكل الإنسان ،فلقد كان اهتمامهم بالطب والأطباء واضحاً على مر هذه السنين ولهذا فإن الاكتشاف الجديد في مجال الطب يواجهه في البداية "والحقيقة أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يتملكه الشعور بالدهشة عندما يعقل أمراً جديداً أو يستشعر تغييرا في البيئة لم يعهد من قبل "[3]

وكنتيجة لهذا الشعور لابد من أن يبدي الدين رأيه في هذه المسائل الطبية فسوف نتطرق له في الدين المسيحي والإسلامي

---

[1] ناهدة البقصمي،مرجع سابق،ص78

[2] سعيد محمد الحفار،**البيولوجيا ومصير الإنسان** ،العدد38،دط،الكويت،1984ص98.

[3] زهير الكرمي،مرجع سابق، ص 238

أولاً: رأي الدين الإسلامي

لقد كتب الدكتور حسان حتحوت في مجلة العربي (العدد 230 يناير 1978) مقالا تحت عنوان *قضايا علميه تنتظر أحكامها الشرعة* فلقد أورد فيه خطورة ما توصل له العلماء في الميدان الطبي وكان أطفال الأنابيب

من ضمنها وعن توقعات المستقبل لهذا المجال فحذر رجال الدين وطالبهم بإيجاد حلول شرعية لمشكلة أطفال الأنابيب ولكثير من المشكلات المتوقع حدوثها في المستقبل "ولم يكن من المستغرب أن يرد عليه الدكتور يوسف القرضاوي الذي كان وقتها رئيسا لقسم الشريعة بكلية التربية بقطر بقوله :أن ما يقوله الدكتور حسان ما هو إلا افتراضات متخيلة وإنها تشبه المحاولات التي كان يمارسها بعض أهل الجدل في الماضي والذين كان يطلق عليهم وصف اللارأيتين لأنهم كانوا يسعون إلى تعجيز الفقهاء عن طريق إطلاق العنان لأخيلتهم ثم يتوجهون بالسؤال إلى الفقهاء قائلين :"أرأيت لو حدث كذا فماذا يكون الرأي الشرعي فيه؟)"[1]

ولقد جاء في مضمون رد يوسف القرضاوي على حسان حتحوت أن الأمر جائز إذا كان بين الزوج والزوجة فقط بحيث لا يتعداه إلى طرف ثالث، أما إذا تدخل الطرف الثالث فهو غير جائز شرعا

إن الأساس الذي بنو عليه الفقهاء مناقشاتهم لموضوع الإخصاب الصناعي وأطفال الأنابيب إنما هو مستمد من النصوص الدينية وهي الكتاب والسنة فضلا عن أراء الفقهاء وعلى الرغم من ذلك فإن هذا لم يمنع من وجود اختلاف بينهم فكان لزاماً عليهم أن يبدؤوا بمناقشة المشكلة من بدايتها "إذ أنهم رأوا في مؤتمري الإنجاب في ضوء الإسلام وبداية الحياة الإنسانية ونهايتها في المفهوم الإسلامي اللذين عقدا في الكويت في عامي 1983و1985 أن يردوا في البداية على سؤال جوهري ومهم هو متى تبدأ الحياة ؟على أساس أنها نقطة الانطلاق التي يمكن أن يبنوا عليها حكمهم الشرعي لقضية الإخصاب الصناعي وأطفال الأنابيب " [2]

[1] ناهدة البقصمي،مرجع سابق، ص 131
[2] المرجع نفسه، ص 132

فلقد انقسم الأطباء المسلمون والفقهاء في مناقشتهم لموضوع بداية الحياة إلى ثلاثة فرق

. فريق يرى أن الحياة من لحظة الإخصاب

. فريق يذهب إلى الأخذ بالرأي الشرعي إن الحياة تبدأ بعد نفخ الروح

.أما الفريق الثالث يقول إن الحياة تبدأ من لحضه العلوق

فالفريق الأول يرى أن الحياة تبدأ من لحظة التي يتم فيها التحام البويضة بالحيوان المنوي وهم يعتمدون في ذلك على نوعية من الأدلة أدلة علمية وأخري شرعية أما فيما يخص الأدلة العلمية فهناك شروط معينة لاعتبار البويضة الملقحة إنساناً كاملا وهي "*أن تكون للبويضة الملقحة بداية واضحة معروفة *أن تكون قادرة على النمو ما لم تحرم أسبابه*أن يفضي نموها إلى الإنسان جنينا ووليدا وطفلا وصبيا وشابا وشيخاً وكهلا إن شاء الله له في الأجل*أن تكتمل لها الحصيلة الإرثية لجنس الإنسان عامة وكذلك لها هي فردا بذاته مختلفا عن غيرها من الأفراد منذ بدء الخليقة وحتى قيام الساعة"[1]

أما فيما يخص الأدلة الشرعية فإن الشرع يحفظ حق الجنين إذا ثبت أن المرأة حامل في الميراث بحيث انه لا يتم توزيع الميراث قبل الولادة فإذا كان ذكرا أعطي له ضعف ما يعطى للأنثى أما إذا مات فيرد الميراث إلى الورثة.

بالإضافة إلى هذا "يرون أن بداية الحياة تكون من وقت الالتحام على أساس قوله تعالى "**خلقنا الإنسان من نطفة**" وما يتبع من ذلك ما هو إلا تطور لهذه النطفة

وننتقل إلى الفريق الثاني الذي يقول أن الحياة تبدأ بعد نفخ الروح في الجنين ومن هؤلاء"العلامة ابن القيم الذي يقول في كتابه (التبيان في أقسام القرآن) فإن قيل الجنين قبل نفخ الروح فيه هل كان فيه حركة وإحساس أم

[1] ناهدة البقصمي،مرجع سابق ، ص 133

لا؟ قيل فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات و لم تكن حركة نموه واغتذائه بالإرادة فلما نفخت فيه الروح انضمت حركته الحسية وإرادته إلى حركة نموه و اغتذائه "[1]

أما فيما يتعلق برأي الفريق الثالث الذي يقول أن الحياة تبدأ من مرحلة العلوق، فهو يوفق بين الأول والثاني فيذهب إلى أن الحياة لا تبدأ من لحظة الإخصاب وإنما منذ التصاقها بجدار الرحم "أي منذ لحظة العلوق وكما قال الكثير من الفقهاء والبيولوجيين انه لا يكتب للبويضة الحياة إن لم تعلق بجدار الرحم وانه تزداد حرمة الجنين كلما تطور ودخل مراحل النمو الكامل ولكن اغرب الآراء التي طرحت كانت من الشيخ محمد المختار السلامي مفتي الجمهورية التونسية حيث قال :إن البويضة الملقحة ليست إنسانا بالفعل ولكنها إنسان بالقوة على معنى أن كل الصفات الخلقية وكل الخصائص الوراثية كامنة في هذه البويضة تفضي كل مرحلة إلى المرحلة تالية حتى يتم للكائن وجوده الإنساني الذاتي عندما ينفصل عن الأم وتشتغل أجهزته باستقلال فالجنين ما دام في بطن أمه ليس إنساناً كاملا وليس حيوانا ولكنه في مرتبة بين المرتبتين" [2]

فلقد اهتم الأطباء المسلمون والفقهاء بتحديد بداية الحياة لوضع قاعدة أساسية يقيمون عليها الأحكام الشرعية ولذلك توصلوا إلى التوصيات التالية "*بداية الحياة تكون منذ التحام حيوان منوي ببويضة ليكوّنا البويضة الملقحة التي تحتوي على الحقيبة الوراثية الكاملة للجنس البشري عامة وللكائن الفرد بذاته المتميز عن كل كائن آخر على مدى الأزمنة وتشنج في الانقسام لنعطي الجنين النامي المتطور المتجه خلال مراحل الحمل إلى الميلاد*ما إن يستقر الحمل في بطن المرأة فإن له احتراما متفقا عليه ويترتب عليه أحكام سريعة معلومة*إذا بلغ الجنين مرحلة نفخ الروح تعاظمت حرمته باتفاق وترتب على ذلك أحكام شرعية أخرى " [3]

رغم الاختلاف بين الإخصاب الصناعي وأطفال الأنابيب من الناحية العلمية إلا أن الحكم الشرعي كان متشابها.

---

[1] المرجع نفسه ، ص 134
[2] ناهدة القصمي،مرجع سابق، ص 135
[3] المرجع نفسه، ص 136

فإن هذا الموضوع من بدايته كان فيه فريقان فريق مؤيد وفريق معارض وسوف نتطرق لكلا الرأيين ثم نعرض توصيات المجمع الفقهي لمكة المكرمة .

*المعارضين استند أصحاب هذا الرفض على أساس المخاوف من أن يقعوا في متاهات أخلاقية ودينية يصعب ضبطها وانه يتعارض مع الغاية الحقيقية من الزواج "وأنه يوجد احتمال الخطأ في العملية وهو أمر وارد في المختبر فتلقح بويضة من منى رجل آخر بالخطأ أو العكس وفي هذه الحالة يقع المحضور الشرعي وتختلط الأنساب " [1]

وكذلك لا نضمن أنه يمكن أن يستعير الرجل ماء غيره تلبيسا على زوجته و أن يتساهل الناس في هذا الشأن شيئا فشيئا فأصحاب الرفض يرون إنهم بفتح مراكز للتلقيح، فإنه سيفتح باب الشر كله.

وإذا تحول هذا وأصبح عمل تجاري مربح فإنك لا تضمن حدوث الغش والتلاعب وكذلك لم يستثنوا الطفل الناتج عن هذا التلقيح فربما يؤثر بقائه في أنبوبة الاختبار على نفسيته فأياً كانت الأساسيات التي بنا عليها المعارضون رأيهم فتبقي مخاوفهم مبررة إن المشروع ما زال في مراحله الأولى "وكلما زادت فرصة وجود ما يفيدنا زادت أيضا إمكانية إساءة استخدامه" [2]

وبطبيعة الحال هناك مؤيدون لهذه الفكرة لكن ليس تأيداً مطلقا بل إن موقفهم يصاحبه بعض الحذر فهم يوافقون عليه وفق شروط ومن بين هذه الشروط "*أن يتم التلقيح من مني الزوج *أن يتم ذلك في حياة الزوج وليس بعد مماته على أساس أن الزوج حين يموت صبح غريبا ويعتبر التلقيح حرام *أن يكون الطبيب الذي يقوم بالعملية والفريق المساعد له من ممرضين وعمال المختبرات مسلمين مؤتمنين *وأخيرا أن يتم ذلك بموافقة الزوجين" [3]

[1] ناهدة البقصمي،مرجع سابق، ص 137
[2] زولت هارسنياي، ريتشاردهتون،تر،مصطفى إبراهيم فهمي ،**التنبؤ الوراثي**، سلسلة عالم المعرفة المعرفة،العدد 130،1988، ص 246
[3] ناهدة البقصمي،مرجع سابق، ص 138

ولعل أهم فتوى صدرت حول موضوع أطفال الأنابيب في العالم الإسلامي هي "الدورة السابعة في المجتمع الفقهي بمكة المكرمة ومن أهم بنودها ما يأتي:

1يجوز للزوجة تلقيحها اصطناعيا وداخليا بماء زوجها حتى يتم الحمل .

2 التلقيح الذي يتم خارجيا في إناء بين بذرتي الزوجة و الزوج ثم يعاد إلى رحم الزوجة هو أسلوب مقبول مبدئيا في ذاته بالنظر الشرعي ولكنه غير سليم تماما من موجبات الشك فيما يستلزمه ويحيط به من ملابسات فلا ينبغي أن يلجأ إليه إلّا في حالات الضرورة القصوى " [1]

ثانيا :موقف الدين المسيحي

بالرغم من التطورات الطبية الحديثة التي فرضت نفسها على المجتمع الغربي وتقبلها فإن رجال الدين المسيحيين توصلوا إلى نتائج لا تكاد تختلف عن رأي الدين الإسلامي "فلقد ألقى البابا بيوس الثاني عشر، ثلاثة خطب مهمة فيما بين عام 1949و1956م ،الأولى المؤتمر العالمي الرابع للأطباء الكاثوليك في 29سبتمبر1949م والثانية مجلس الاتحاد الكاثوليكي الايطالي للقابلات في 26 نوفمبر1951م،والثالثة المجلس العالمي الثاني للإخصاب و العقم في 19 مايو عام 1956م" [2]

فلقد حرم البابا في كل خطبه الإخصاب الصناعي بكل أنواعه لعدة أسباب منها تحويل الأسرة إلى مجرد مختبر بيولوجي فالإخصاب الصناعي يخالف الغاية الإلهية من الزواج وكذا إنه يهدم الزواج عن طريق المتطوع لكن البابا استثني الإخصاب الذي يكون بين الزوجين، ويرفض البعض من المسيحيين الإخصاب الصناعي لأنه عملية غير طبيعية ويعتبرونها غير أخلاقية ويقول البابا بويس ن الإخصاب الصناعي بكل أنواعه يبرز من فلسفة زائفة للحياة تدعى أن السعادة حق من حقوق الإنسان ولذلك إذا أراد الزوجان إتمام سعادتهما فإن هذا الطفل حق

[1] ناهدة القصمي ، مرجع سابق ص 139
[2] المرجع نفسه ، ص146

من حقوقهما أيضا وبالتالي فإن الطفل في هذه الحالة كما يرى البابا يتحول إلى وسيلة للسعادة وليس غاية في ذاتها بالإضافة إلى كل هذا فإن المسيح يعتبرون الإخصاب الصناعي نوع من الزنا

المطلب الرابع :القضايا الأخلاقية التي أثارها الإخصاب

إن عمليتي الإخصاب الاصطناعي والإخصاب خارج الرحم لم تعد تثير أي قضيا أخلاقية مهمة طالما ظلت محصورة بين الزوجين، مثلما أثارت في البداية مجموعة من الاعتراضات على أساس أنها بداية لمترلق أخلاقي "لدرجة إن بول رامزي ذهب إلى القول إننا في اللحظة التي نسمح فيها بإجراء عملية حمل خارج الرحم لأي زوجين فإننا نكون قد قبلنا مسبقا من حيث المبدأ إمكانية حدوث سلسلة متوالية من السلوك اللاإنساني والاعتراض القوي الذي وجه ضد عمليتي الإخصاب هو بأنه عملية غير إنسانية وغير طبيعية"[1]

فالإخصاب بين الزوجين لا يثير الكثير من الاعتراضات بقدر المنعطف الأخلاقي الذي يؤدي إليه تدخل الطرف الثالث في الموضوع فإن هذه القضية بحاجة إلى تبرير أخلاقي قوي لكي يقبلها المجتمع وهذا لا يتم إلا إذا نوقشت العناصر المختلفة والمتعلقة بالموضوع وهي

هل رغبة الزوجين في الحصول على طفل تكفي للسماح بإجراء مثل هذا العمل "إن رغبة الإنسان كما يدعي جوزيف فلتشر هي التي يجب أن تكون لهما الأولوية في كل انجازاتها البشرية فإن الرغبة هي مبرر قوي لإجراء مثل هذه العمليات بل إن سنجر يرى أن طفلا يولد نتيجة حاجة ملحة سيكون محبوبا أكثر من أي طفل آخر وسيحصل على رعاية لا يحلم بها الأطفال الذين يولدون بالطريقة العادية، ولكن متشل له رأي مخالف فهو يرى أن الرغبة وحدها لا تعطي لنا الحق في ذلك

[1] ناهدة البقصمي،مرجع سابق، ص 162

فيقول: لماذا يجب أن تكون الرغبة مهمة بحيث تصل إلى إعطاء الحق لأي إنسان في الحصول على ما يريد...فالمبدأ المهم ليس رغبة الإنسان البالغ وإنما مصلحة الفرد ،وهذا ما تسعى إليه أي محكمة أو هيئة في المجتمع"[1] يؤدي تدخل طرف ثالث إلى ضياع معني الأمومة وهي العلاقة التي تربط الطفل بأمه .

المبحث الثاني:الثورة في الهندسة الوراثية ومصير الجنس البشري

المطلب الأول:الثورة في الهندسة الوراثية

علم الوراثة هو أحد فروع البيولوجيا وهو يتناول الطرق التي تورث بها الكائنات الحية خصائصها الوراثية إلى سلالاتها وقد نتج هذا العلم في المرحلة المعاصرة تخصص معرفي جديد يعرف بالهندسة الوراثية "وهي تشمل كلمتين الهندسة وهي التصميم والتخطيط للوصول إلى هدف معين والوراثة وهي العلم الذي يهتم بدراسة كيفية انتقال الصفات الوراثية من جيل إلى آخر كما يعنى بتفسير التشابه والتباين بين أفراد النوع الواحد في الكائنات الحية "[2]

فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بمجموعة من التجارب"وهي التحكم بالجينات والاستنساخ الحيوي وتركيب (د.ن.أ)"[3]

ومن خلال الأبحاث التي يجريها علماء الهندسة الوراثية يسعون لمعرفة كل شاردة وواردة حول الطاقم الوراثي وما أن "أثبت العلماء أن بوسعهم تغير الصفات صناعيا حتى أخذوا في دراسة الصبغيات أو الكروموسومات وهي الجسيمات التي تحمل مراكز الصفات الوراثية أو تحمل المركبات العضوية الحيوية "[4]

فإنه كلما تم التحكم بدقة في هذه التقنيات "فإنها ستسمح لنا بأن نلعب بالجينات حسب رغبتنا"[5]

---

[1] المرجع نفسه، 165.
[2] أحمد أبو عرب ،**الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء**،دط،دار الفؤاد،دب،2010، ص 60
[3] عادل عوض ،**الأصول الفلسفية لأخلاقيات الطب**، دط،دار الجامعة الجديدة،الإسكندرية،2011،ص 23
[4] زهير الكرمي،مرجع سابق،ص 233 .
[5] زولت هارسناي ،مرجع سابق ،ص272

وهذا بغية رسم خريطة وراثية للإنسان بحيث تمكننا من إعادة صياغة وتغير في المخزون الوراثي إذا اقتضى الأمر ذلك ،فإما لغايات طبية علاجية أو من أجل إنتاج كائنات حية حسب صفات معينة فإنه "كلما اكتشفنا ما يفعله أحد الجينات فإننا سنتمكن من نزعه من مكانه الصحيح مع جزء من حامض د.ن.أ لندخله في أي سلسلة جينية أخرى وسنتمكن من القيام بهذه الطريقة إما باستخدام جين طبي من إحدى الخلايا أو باستخدام مادة جينية "[1]

وهذا ما أحدث ثورة تميزت بأن الإنسان أصبح يتوفر على وسائل علمية دقيقة لكشف أسرار الوراثة وفك رموزها لمعرفة المركب الوراثي للبشر والكشف على احتمالات حدوث أمراض وراثية وذلك في مرحلة جنينية أي قبل الولادة وكذالك قد توصلوا إلى طرق للتحكم في تلك المورثات وامتلاك القدرة على تنسيقها بما يرضي فضوله وطموحاته ومن أبرز الخطوط العريضة لهذه الثورة أنها قطعت أشواطا وبدأت تخطو خطوات موثوق نحوا إمكانية التنبؤ الوراثي الذي يوفر التحذير لمن هم مستهدفون بأمراض وراثية وينذرهم "ومن ينذر مبكرا فإنه يحتمي مبكرا ومن حكم مهنة الطب أن التشخيص المبكر غالبا ما يؤدي إلى علاج أكثر فائدة ،ويزيد من فرص الشفاء"[2]

فالتنبؤ يمكننا من الوقاية ضد المرض عن طريق تحليل مجموعة العلامات الوراثية الخاصة بكل فرد حتى يتجنب كل واحد العوامل البيئية الخاصة التي تساعد على ظهور ونقل الأمراض الوراثية إلى الأجيال اللاحقة .

"ومن حق كل مطلع على منجزات الثورة البيولوجية عامة وهندسة الوراثة أو هندسة الجينات خاصة أن يتساءل

ماهو مدى النتائج التي يمكن أن يبلغها هذا التدخل في الوراثة البشرية " [3]

[1] المرجع نفسه، ص272
[2] زولت هارسناي ،مرجع سابق ، ص 19
[3] سعيد محمد الحفار، مرجع سابق، ص95

قبل ذكر النتائج نذكر بأن البحث هو ضرورة من ضرورات الحياة وهو أنبل مساعي "العقل البشري ومن معينه ينبع تيار لا ينقطع أبدا من الاكتشافات الخيرة أم أنه مكنسة ساحرة تهددنا جميعا بالفناء ؟ وهل أفسد العلم جودة الحياة" [1]

فالخير المكتسب من علم هندسة الوراثة هو إمكانية التنبؤ وإنما التنبؤ الوراثي هو "بالمعني الحرفي أمر له القدرة على تغيير طريقة حياتنا فهو سيدخل أولويات جديدة بالنسبة لبعض من أهم القرارات الرئيسية التي يجب علينا اتخاذها قرارات على المهنة التي نختارها والمكان الذي نعيش فيه أو الشخص الذي نتزوجه فهو باختصار ينفذ إلى الصميم من حياتنا " [2]

فالتنبؤ بالأمراض الوراثية يحدد طريقة عيشنا ويرشدنا إلى سبل العلاج وقد نتجنب الإصابة بالمرض أساسا وذلك عن طريق اكتشاف حامل المرض وتوجيهه ليضمن إنجاب أطفال غير معرضين للمرض وكأنه في ذلك "شبه ضمان لكل طفل لأن يتمتع بحقه في أن يولد سليم الجسم والعقل مزودا بجملة من الجينات قادرة على تطور سليم في بيئة مناسبة" [3]

أي أن الهندسة الوراثية اليوم قادرة على استبدال الجينات المعطوبة بأخرى سليمة أو إصلاحها بالإضافة إلى قدرتها على إنتاج سلالات يثبت الفحص خلوها من العيوب وبالرغم من هذا فإن تحسن صحة الفرد وإسعاده هو هدف اجتماعي ،وفي نفس الوقت لا يجب أن نغض الطرف على مخاوف العلماء من الأثر السلبي الذي قد ينجر عن بحوث الهندسة الوراثية وتطبيقاتها إذا "ترك لها الحبل على الغارب عندما تنتج أنواعا وأصنافا جديدة قد تؤدي إلى خلل في التوازن البيئي... هو في نظرهم أشد خطرا على حياة الأجيال المقبلة " [4]

المطلب الثاني:هل يجوز أخلاقيا التفكير في تعديل قدرات الإنسان

[1] ماكس بيروتي،تر، وائل أتاسي، **ضرورة العلم**، العدد،245،سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1999،ص 9
[2] زولت هارسنياي،مرجع سابق، ص 245
[3] سعيد محمد الحفار ،مرجع سابق، ص 193
[4] المرجع نفسه، ص 194

إن التفكير في تعديل قدرات الإنسان وتحسين سلالة الجنس البشري هو حلم قديم قد راود أفلاطون في جمهوريته الفاضلة والتي حدد لها شروط واضحة لتحقيقها ومن بين هذه الشروط "إن صفوة الرجال يجب أن يتزوجوا صفوة النساء " [1]

وكذالك فلاسفة المدن الفاضلة في القرن السابع عشر ولعل العلماء بدورهم لم يتنازلوا عن تحقيقهم هذا الطموح و لم يتخلوا عن حلمهم الكبير فبعد تطبيق دراساتهم على النبات والحيوان تحولت دراستهم على الإنسان وصبغياته وبدأ يرسمون الخرائط لهذه الصبغيات وحددوا مراكز الصفات الوراثية للإنسان "فإنهم في سبيل التمكن من تغير بعض الصفات بالشكل الذي يحلو لهم و لم يكن الأمر بحاجة إلى كبير الذكاء لفهم هذه الأبعاد وما يندرج تحتها"[2]

ومن هنا كانت خشية العلماء أن يتمكن علماء المجتمع المتقدم من تحوير الصفات "فإن امتلاكنا لهذه المعرفة السريعة والمتراكمة من علوم الوراثة سيجعلنا قادرين على إنتاج سلالات بشرية حسب الطلب خاصة في عالم لا تزال تسيطر عليه فكرة التعصب العنصري...إننا ندفع بقوة نحوا مستقبل نستطيع أن ننشئ فيه سلالات ممتازة وسلالات أقل امتيازا "[3]

فبتحويل صفات في أطفال مجتمع ما بحيث ينمون عباقرة علميين أو رياضيين أو موهوبين موسيقيين وشعراء أو ذي أجسام قوية وقدرات عالية فوق مستوى البشر العاديين"وهكذا يكون بالوسع تحويل ذلك المجتمع إلى مجموعة من العباقرة الأفذاذ كل مجموعة تفوق أي إنسان عادي في ميدان معين أي أن جميع أفراد المجتمع يكونون أفذاذ عباقرة على مستوى أعلى من مستوى الإنسان وقد هال بعض العلماء الباحثين في هذا الميدان المضاعفات التي يمكن أن تنشأ عن إنتاج ما فوق الإنسان لسوبرمان"[4]

وبهذا نكون قد تمكنا من "امتلاكنا القدرة على تفعيل العنصر البشري حسب الطلب "[1]

---

[1] أميرة حلمي مطر، **جمهورية أفلاطون** ،مكتبة الأسرة ،فقرة 460
[2] زهير الكرمي ،مرجع سابق، ص 234
[3] عبد الحسن صالح، **التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان**،سلسلة المعرفة،عدد 48،الكويت،1981ص 165
[4] زهير الكرمي ،مرج سابق، ص234

فالأمر هنا يشبه حدوث معجزة فقبل فترة لا تعدُ تتجاوز النصف القرن لم يكن هناك من يعرف شيئا عن طبيعة المادة الوراثية ولكن الأمر يختلف اليوم "وها باستطاعتنا الآن أن نتخيل أن سيكون بين أيدينا قريبا المخطط الوراثي الكامل للإنسان "[2]

فهذا التغيير قد يحدث هزة اجتماعية وسيكون له مضاعفات ولعل أولها أن إنتاج هذا النوع من المجتمعات والأفراد لسوبرمان لا يكون بالوسع إنتاجه "إلا من قبل بعض المجتمعات المتقدمة علمياً وتكنولوجياً وأن هذا يعني أن هذه المجتمعات ستفوق غيرها بمراحل عديدة وهذا سيؤدي بالطبيعة إلى سيطرة هذه المجتمعات سيطرة لا فِكاك منها على جميع المجتمعات الأخرى وبالطبع سيستخدم المتفوقون العاديين في أعمال ثانوية و متدنية المستوى ...وسيحتفظون لأنفسهم بالأعمال الهامة والتي تحتاج إلى مقدرة خاصة وعندها سينقسم العالم إلى طبقة السادة وطبقة أو طبقات العبيد "[3]

فبهذا التصنيف وخلق إنسان أكثر تفوقاً وإجراء مثل هذه الاختبارات فإن هذا ليس مجرد إجراء طبي "وإنما هو طريق لخلق فئات اجتماعية فلقد يستخدم في حفظ تنظيمات اجتماعية قائمة وتعزيز سيطرة جماعات معينة على غيرها " [4]

ففي هذه الحالة التاريخ سيعيد نفسه ونعيد ما حدث في "ألمانيا النازية من صراعات وحركة تحسين النسل والتاريخ العرقي للولايات المتحدة الأمريكية فسوف نكون مدانين"[5]

فلقد استغلت تلك الأبحاث في الماضي لشن حرب على المهاجرين والسود في الولايات المتحدة الأمريكية فلقد "استغلت المعلومات الجينية لتبرير تعقيم السود في الجزء المبكر من هذا القرن ولتحديد أعداد مجموعات عرقية معينة كانت ترغب في الهجرة للولايات المتحدة الأمريكية " [6]

---

[1] عبد الحسن صالح،مرجع سابق، ص165
[2] دانيال كيفلس،تر،أحمد مستجير، **الشفرة الوراثية للإنسان** ،سلسلة المعرفة ،عدد 217، الكويت ،1997ص167
[3] زهير الكرمي ،مرجع سابق ،ص 234
[4] دانييل كيفلس ،مرجع سابق ،ص 183
[5] زولت هارسنياي،مرجع سابق، ص246
[6] المرجع نفسه ص224

فبعد هذا الاستغلال ونشاط حركات تحسين النسل فنتج عن هذا أطروحات هذه نماذج منها "إن البشر غير متساويين عرقيا وجسدياً وعقليا ومثلهم في ذلك مثل النباتات و الحيوانات و إن استعداداتهم تأتيهم من الوراثة وإن تطور الأفراد والمجتمعات البشرية يتم بناء على مبدأ الصراع والانتخاب الطبيعي * وان الانتخاب الطبيعي والصراع من اجل البقاء هما المحرك الأساس للتقدم الاجتماعي حتى في عصرنا الحاضر وان جذور جميع المشاكل والشرور الاجتماعية ترجع إلى تكاثر أناس منحطين وراثيا وعرقيا" [1]

فلقد شكلت الأفكار السالفة الذكر أساساً استند عليه دعاة حركة علم تحسين سلالة الجنس البشري وانه لا يمكن الحديث عن نشأة هذه الحركة بدون إن نرجع إلى نظرية الانتخاب الطبيعي و الداروينية الاجتماعية وقد "كان العالم الانجليزي فرانسيس جالطون 1822-1911 وهو أحد أفراد عائلة شارل داروين نفسه، من الرواد المؤسسيين لهذا العلم في نهاية القرن التاسع عشر وكان مؤمناً بإمكانية الاستفادة من بحوث علم الوراثة في تحسين سلالة الجنس البشري ،بنفس الطريقة التي تحسنُ بها النباتات والحيوانات أي أنه يتم التخلص من كل الخصائص الوراثية الغير المرغوب فيها ومنح الفرصة لظهور الصفات المرجوة والجديدة وقد سمي هذا التخصص الجديد..."[2] وهي كلمة مشتقة من أصول إغريقية وشقها الأول .ويعني الطيب والنبيل والشق الثاني فيعني العرق والسلالة

فلقد أصبحت أطروحات علم تحسين سلالة الجنس البشري أيديولوجيات النزعات العنصرية في القرن العشرين حيث ساهمت في ترويج فرضيات تدّعى وجود سلالات بشرية ممتازة عرقياً بالتالي حضاريا ووجود سلالات أخرى منحطة وراثياً وقد نعتت هذه الأفكار بأنها هي سبب الانحراف والإجرام الذي يسود المجتمعات الغربية

[1] فريدرك نيتشه ،تر،فتحي المسكيني ،**جينالوجيا الأخلاق**،ط1،دار سيناترا ،تونس،2010، ص 140
[2] سعيد محمد الحفار،مرجع سابق ، ص 29

فلقد دعا أنصار حركة تحسين السلالة إلى إنقاذ البشرية من الانحطاط الوراثي و الجيني الذي أصبح يهدد وجودها بسبب تكاثر الأشخاص المصابين بأمراض التخلف العقلي و العيوب الوراثية .

فلقد دافع أنصار هذه الحركة عن أفكارهم في الولايات المتحدة الأمريكية بوجه خاص ،على ضرورة وضع قوانين تمنع الزواج بين الأجناس المختلطة ،وتمنع الهجرة إلى أمريكا على جميع الأشخاص الذين ليسوا من أصل أنجلوساكسوني كما وضعوا برنامج لتعقيم الفقراء والمشردين والمختلين عقلياً والمنحرفين والشواذ وقد طبقت برامج مماثلة خلال سنوات 1920-1930 في الولايات المتحدة الأمريكية وفي السويد ولكن هذه الإيديولوجا لم تبلغ مدى التطرف إلاّ في ألمانيا النازية بحيث أنها استُعملت كمبرر للاضطهاد وإبادة السلالة التي ليست من الجنس الآري وحتى أيامنا هذه مازلنا نسمع عن إحياء صيغ معاصرة عند دعاة التطهير العرقي، ترى لو أنه تم فعلا تطبيق آراء جمعيات تحسين سلالة الجنس البشري "هل كان بالإمكان تجنب الحكم على أغلبية العباقرة الذين عرفهم تاريخ الإنسانية من فلاسفة وعلماء وفنانين بأنهم من عداد المعتوهين الذين كان ينبغي التخلص منهم ؟"[1]

والآن لا يبدوا هناك شك في أن علماء الهندسة الوراثية أصبحوا قادرين على معرفة أدق ما في المخزون الوراثي للإنسان والتحكم فيه وبرمجته وفق مخطط وأهداف معد مسبقاً وقد "يتجرؤون على انتهاك قدسية حياة الإنسان و أسرارها وقد يقدمون على إحداث تغيير جزئ في إنسان الغد بتغيير تركيبته البيولوجيا وقدراته العقلية والنفسية ومن يعلم ربما بقراراتهم قد يهُبون َاليوم لمساندة أنصار حركة تحسين سلالة الجنس البشري ويدعون إلى القضاء على السلالات المنحطة تحت حجة تطهير المجتمع وحمايته ويبعثون فيهم آملاً جديدة لإحياء مشروعهم القديم في إنتاج إنسان قوي وممتاز و يرتقون به إلى درجة من الكمال بحيث يتم تنقيته وتطهيره وراثيا من كل الشوائب المرضية

[1] زولت هارسناي ،مرجع سابق، ص 288

فهل ستقودنا هذه الثورة الجديدة في الهندسة الوراثية إلى مجتمع أكثر حرية و انفتاح أم أنها ثورة غير منظمة فربما تقضى على فكرة المساواة ذاتها "[1]فتوسع وتعمق الاختلاف إلى درجة يمكن أن نتخيل فيها البشرية وقد تحولت إلى أكثر من نوع

المبحث الثالث:مدى مشروعية الاستنساخ

المطلب الأول:الاستنساخ والاستنساخ البشري

"من عادة الكائنات الحية أن تجدد نوعها باستمرار عن طريق خلط المكونات الوراثية في عمليات التزاوج فيحل الجديد محل القديم وبهذا تستمر الأجيال في كل الأنواع ما بقيت على أرض الحياة وتلك هي سنن الطبيعة في مخلوقاتها من قديم الأزل " [2]

لكن تطور البحث العلمي اليوم أدى ببعض العلماء إلى تجاوز وتخطي السنن الطبيعية في الكون وخرجت بها عن سكة الطريق الطبيعي المعتاد فبدلاً من التكاثر الجنسي المعروف أصبح بالإمكان أن تنشأ الذرية من خلال المخلوق الجسدي أي من خلال خلايا جسدية "وقد يتيح الاستنساخ للناس أن يروا أنفسهم وهم يولدون من جديد ،وأن يملئوا العالم بتوائم لأنفسهم "[3]

فإذا تحقق هذا الاستنساخ وطبق على البشرية فإن أي أحد من الناس قد يبعث مرة أخرى إلى هذا الوجود من خلية واحدة جسدية وكأنما ذاته البيولوجية قد عادت مرة أخرى في الزمن إلى الوراء فإنه يرى نفسه قد عاد طفلا فصبيا فشابا بكل صفاته التي نشأ عليها قبل ذلك فإن الناس الذين يعرفون هذا الشخص قد تنتابهم الحيرة والارتباك عندما يرون هذا الشخص في صورته المصغرة وهو في حالته الطبيعية أي كأنهما توأمان متطابقان ومتشابهان لكن هناك فارق زمني كبير بينهما ليس مثل الحالة التي يولد فيها توأمين متطابقين يفصل بين مولدهما عدة دقائق أو حتى ساعات

[1] بدون مؤلف، **آفاق الهندسة الوراثية** ،مجلة الثقافة العالمية ،العدد91،الكويت،1998، ص 53
[2] عبد الحسن صالح ،مرجع سابق ،ص 35
[3] سعيد محمد الحفار ،مرجع سابق ،ص 111.

"ولا شك أن مثل هذه التصورات الجريئة غريبة على عقولنا وزماننا لكنها لن تكون كذلك بالنسبة لمن يأتي بعدنا بأجيال ثم إن عملية إنتاج نسخ مكررة من خلايا جسم زيد ليست تصورات ولا خيالات لأن ذلك النسخ قد حدث في زماننا هذا " [1]

إن كل إنجاز علمي له مميزاته وله بدايات وفي أغلب الأحوال تكون هذه البدايات محتشمة ومتواضعة لكنها دائما ما تسير نحو التطور والتحسن إلى الإتقان وفي حين أن فكرة الاستنساخ قد حصلت وبالأحرى نجحت على الحيوانات لأول مرة "يوم 23 فيفري 1997 أعلن عن نجاح تجربة الاستنساخ الوراثي للنعجة دولي بدأ بخلية غير جنسية ولقد تحقق هذا الإنجاز العلمي على يد فريق من الباحثين البريطانيين أشرف عليه العالم Lan Wilmutاعتبر هذا الحدث بمثابة تغير جذري في المستوى العلمي" [2]

فبالرغم من أن "البشر بشر إلا أنهم ليسوا جميعا نسخاً مكررة بعضهم من بعض فاختلاف سحناتهم وأصواتهم وألوانهم وبصماتهم وفصائل دمائهم وبروتيناتهم وطباعهم وأمزجتهم ...والذي يحكم عدم التكرار بين صفات البشر أو أي كائن آخر هي عوامل وراثية محددة تكمن في أنويه الخلايا الجنسية للنوع الواحد فخلطهما يؤدي إلى عدم تكرار ما ينتج منها على الإطلاق وبهذا يحتفظ كل فرد بصفات كثيرة جدا تميزه عن غيره " [3]

فبرغم من وجود بعض التشابه البسيط بين البشر فإن الاختلاف فيما بينهم فهو ظاهر وباطن بحسب حكمة لخالق الذي يقول في كتابه :**"ومن آياته خلق السموات و الأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين "** [4]

فأساس هذا الكون والخلق مبني على الاختلاف وهذا الاختلاف تحكمه خطط وراثية"فأخذوا يرسمون الخرائط لهذه الصبغيات ويحددون مراكز الصفات الوراثية العديدة في الانسان "[5] لكشف وتوضيح هذا الاختلاف

[1] عبد الحسن صالح ،مرجع سابق ص 36
[2] سعيد بن منصور موفعة ،**الموسوعة الفقهية للأجنة والاستنساخ البشري** ، ج1،دط،دار الإيمان ،الإسكندرية،2005،ص 292.
[3] عبد الحسن صالح ،مرجع سابق، ص 37
[4] **سورة الروم** الآية 22
[5] زهير الكرمي ،مرجع سابق ، ص 234.

ولكن هذا الاختلاف قد يلغيه الاستنساخ فقد يتمكن الإنسان في المستقبل القريب من أن يخلق نسخا تماثله تماما "بفضل تقنية متطورة تتيح له تلقيح بويضة الأنثى بخلية جسدية وليست جنسية " [1]

فإننا في هذه الحالة لا نعجب من أن العلم قادر على تصنيع الحياة من خلايا جسدية وإنما نعجب إذا لم تتدخل الأخلاق لإباحة التجارب أو تحريما ففي حالة ما إذا نجح تصنيع الإنسان من خلايا جسدية فهذا ينتج لنا أفراد متطابقين كل التطابق في كل شيء.

"و هذا بدوره يطرح تساؤلا خطيراً حول هوية الإنسان وشخصيته فكل فرد يتمتع من بين البشر جميعا بهوية خاصة تميزه وحده ولكن ماذا يبقي من هويته إذا كان من بين البشر الآلف يماثلونه في كل شيء ؟ " [2]

في حين أن بعض علماء البيولوجيا لا يرون أهمية لمعارضة تصنيع الإنسان لصنع أناس متطابقين فهم يعللون ذلك بقولهم إن الطبيعة في كثير من الأحوال فعلت ذلك في حالة التوائم المتماثلين الذين ينحدرون من بويضة واحدة فإنهم يذهبون أبعد من هذا لقولهم إن هذا التطابق هو مبعث للفخر والاعتزاز لكل من يتم تصنيعه لأنه يتم اختيار الخلايا الجسدية من أفراد يتميزون بصفات وراثية مرغوبة فانه يجدر بالمصنعين من أن يكونوا فرحين لأنهم من أصحاب الحظ السعيد بفضل الخصائص الوراثية التي يملكونها " ويذهب بعض العلماء المؤيدين لتجارب تصنيع البشر بأن هوية الأفراد لا تحددها عوامل بيولوجية محضة نعم إن الوراثة تلعب دوراً هاما في نظرهم ولكن أثر البيئة أيا كانت لا يقل عن أثر العوامل البيولوجية أبداً " [3]

فإنهم يرون إن تطابق لا يكون كليا بين الأفراد المستنسخين لأنهم سوف يختلفون من حيث البيئة التي ينشؤون بها و في رأيهم أن كل واحد سيختبر في حياته مواقف خاصة به وأنه سوف يكون محاطا بظروف مختلفة اختلافا تاما عن باقي المستنسخين وبهذا الاختلاف البيئي سوف يكون لكل واحد منهم هويته وعلى الأغلب بأنها هوية فريدة خاصة به وحده .بمعنى أن الوراثة لا تؤثر بقدر ما تؤثر البيئة في شخص الإنسان .

---

[1] عبد الله العمر، **العلم والقيم الأخلاقية**،مجلة عالم الفكر،العدد 4،دار وزارة الإعلام ،الكويت،1990، ص51

[2] المرجع نفسه، ص54

[3] عبد الحسن صالح ،مرجع سابق، ص54

وهناك من هم على طرف نقيض الرأي "إن الكائنات البشرية مثل أي كائنات أخرى ليست إلا كلا واحدا متكاملا ولذلك لا يمكن تجزئتها إلى جزأين مختلفين فهي لا يمكن أن تكون في البداية أجسادا عضوية فيزيائية ثم تدخل في مرحلة أخرى متقدمة تضيف فيها الشخصية بناء على خصائص معينة يمتلكها الإنسان وتؤدي إلى تحولها إلى كائنات بشرية أي أن المقصود أنها ليست كائنات بشرية أولا ثم أشخاصا بناء على حلول الروح و الوعي في الجسد"[1]

إن أصحاب هذا الرأي هم يرون أن الإنسان يكون شيء واحد أي انه متكامل من جانبيه الوراثي والمكتسب والآن نمر إلى رأي الدين في الاستنساخ الحيوي

المطلب الثاني:الموقف الديني من الاستنساخ:

إن موضوع الاستنساخ الحيوي هو من أهم الموضوعات التي أثارت تساؤلات فكرية وأخلاقية كثيرة وقد تمثلت جملة هذه التساؤلات في مخاوف المجتمع من تطبيق مثل هذه التكنولوجيا على الإنسان وسوف نتطرق إلى الموقف الإسلامي والموقف المسيحي

أولا الموقف الإسلامي: إن هذه القضية عند المسلمين تثير تساؤلات أكثر مما يحاولون إيجاد إجابة عليها فإن المسألة بالنسبة لهم هي مجرد افتراضات لم تطبق على أرض الواقع إلا على النبات والحيوان ،وان تطبيقها على الإنسان قد يكون صعبا فلقد حذر الدكتور أحمد شرف الدين محاولة الاندفاع وراء هذا الحلم المرعب لان مجرد أن نفكر بإمكانه حدوثه يصيب الإنسان بالرعب فهو يقول "إذا استطعنا أن نسيطر على الدوار الذي

[1] ناهدة البقصمي ،المرجع السابق، ص 110

يصيب عقل المرء لدى سماعه لقدرات إنسان المستقبل فأننا سندرك أن مثل هذه الإمكانيات البيولوجية ستثير موجة من الاضطراب العارم في النظام الاجتماعي القائم حاليا "[1]

لكن ماذا سيحدث بعد الصدمة؟

"يعتقد انه من المرجع أن يكون أكثر الناس حرصا على استنساخ أنفسهم هم أكثر الناس نرجسية ومن ثم فان النسخ الناتجة منهم حرية بأن تكون أشخاصا نرجسية" [2]

ألا يحمل الأمر في طياته شعورا بالخطر وما يمكننا ان نفعل حيال هذا الأمر؟

"فإن دخول الاستنساخ إلى حياة الإنسان وإلى العالم الإسلامي خصوصا فإنه سيمثل مشكلة فقهية خطيرة بالنسبة لما يتعلق بجانب الميراث"[3]

إن هذا الاكتشاف يقضي على كل الروابط التي تربط الإنسانية بعضها ببعض بل ويحطم مفهوم الأسرة ويقضي على إمكانية وجود أسرة أصلا فهذا التكاثر الجسدي من خلية واحدة يمحي وجود كلمة الأسرة من قاموس الحياة فلا الرجل ولا المرأة بحاجة لإنشاء أسرة بغية الحصول على طفل وهذا ما يخالف ما جاء في الكتاب المقدس القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى "{وَمِنْ ءَايَاته أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَالِكَ لَأَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}" [4]

إن هذا الموضوع يشكل خطورة أكبر إذا توصلت دولة من دول العالم المتقدم الغربي إلى تحقيق وتجسيد هذا الاكتشاف فهي بالتأكيد ستلجأ إلى استنساخ "أفضل أنواع البشر المتوفرين من عباقرة وهذا يعني أيضا أن البيولوجيا المستقبلية ستخرج علينا بجنس بشري من طراز جديد تجتمع له بفعل مكوناته الداخلية من الصفات ما يمكن أن يتخذ أساسا لسحق ما تبقى من الجنس البشري الحالي باعتباره من مخلفات الماضي البالية" [5]

---

[1] ناهدة البقصمي ،مرجع سابق، ص184
[2] سعيد محمد الحفار،مرجع سابق، ص 112.
[3] سعيد بن منصور موفعة ،مرجع سابق ،ص 517
[4] سورة الروم الآية21
[5] ناهدة البقصمي،مرجع سابق، ص 186

إن الحكم في هذا الموضوع أجل و لم يفصل في أمره لأنه مازال مجرد فرضيات و لم يجسد على أرض الواقع وبرغم من كل هذا فإن بعض العلماء والفقهاء المسلمين يرون أن الحكم في هذا الموضوع هو سابق لأوانه لأنه يمكن أن يكون الأمر له جانب مقيد أو إيجابي فلا يجب أن نتسرع ونحكم على الأمر بسبب الخوف مما هو سلبي فيمكن أن يستغل في تحسين أنواع النبات والحيوان التي يستفيد منها الإنسان فلهذا أصدرت لجنة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في مؤتمر الإنجاب في ضوء الإسلام هذه التوصية وهي "عدم التسرع في إبداء الرأي الشرعي في قضايا الاستنساخ بالنسبة للإنسان على نحو ما أدت إليه التجارب في مجال الحيوان مع الدعوة إلى مواصلة دراسة هذه القضايا طبيا وشرعيا"[1]

ثانيا :موقف رجال الدين المسيحيين

الفرق بين أطفال الأنابيب و الاستنساخ الحيوي فرق شاسع "ما عدا مرحلة التلقيح الأولى أو صفة الاندماج فالتلقيح الصناعي الاستنساخ يتفقان فيها بحيث أن كلا منهما يتم اندماجه خارج الرحم بواسطة التلقيح الصناعي ،وأما بقية الصور والمراحل اللاحقة حتى الولادة فيجري على التلقيح الصناعي ما يجري على صفة تكوين الجنين وتطوره بالطريقة الاعتيادية الطبيعية"[2]

فمهما كان الفرق فقد جمع رجال المسيحية بين عمليتي الإخصاب الصناعي الاستنساخ الحيوي على أن كل هاتين العمليتين تثير قضية أخلاقية ودينية موحدة وهي قدسية حياة الإنسان فلقد حاول "رجال الدين أن يقدموا اعتراضاتهم على الاستنساخ الحيوي من خلال عرض مزايا وفوائد هذه العملية كما يراها العلماء والفلاسفة المؤيدون لها " [3]

ثالثا:مزايا وفوائد هذه العملية كما يراها العلماء والفلاسفة المؤيدون لها

1 تساعد عملية في إجراء بحوث ودراسات على نسخ من حملة أمراض وراثية معينة قصد العلاج

[1] المرجع نفسه، ص 186
[2] سعيد بن منصور موفعة ،مرجع سابق ،ص 282
[3] ناهدة البقصمي،مرجع سابق ، ص 192

2 الإنسان يمكن أن يحصل على أعضاء لزراعتها وقت الحاجة والتي يحصل عليها من نسخته

3 يمكن الحصول على صفات العباقرة أفضل من الإخصاب الاصطناعي الذي ننتظر فيه طويلا إضافة إلى إمكانية تدخل مورثات الأم الحامل للجنين مما قد يضيع هذه المزايا الموجودة في العبقري

4 إنه يجنب حاملي المرض الوراثي من إنجاب أطفال مصابين بالمرض

5 يساعد على تخليد أفضل الأنواع البشرية مثلما نحتفظ بالتراث الفكري للعباقرة عن طريق الاحتفاظ بكتاباتهم

6 يمكننا الحصول على أشخاص مؤهلين لتأدية أعمال ومهمات خاصة

يقول المؤيدين لعملية الاستنساخ هذه هي فوائد الاستنساخ لكن عندما تتأملها فإنك ستجد فيها انتهاكا فاضحا لكرامة الإنسان "وكما يقول بول رامزي إلغاء لإرادته الحرة ولعل رجال الدين المسيحيين ناقشوا الموضوع من هذا المنطلق إذ إن النتائج الأخلاقية والمشاكل الاجتماعية المترتبة على الموضوع كما يرون أكبر من أن تسمح باستمرار عملية كهذه ولذلك عرضوا مجموعة من الاعتراضات روعيت فيها قيمة الإنسان وحريته " [1]

فإن عملية كهذه تعني أن يودع الإنسان حريته بحيث ستكون هناك معايير أخرى لنوعية الناس المستنسخين فهؤلاء النسخ لا يسمح لهم بممارسة حقوقهم الطبيعية في الإخصاب الطبيعي خوفا من اختلاط مورثاتهم بغيرها من المورثات في حين سيكون الأمر مختلفا للناس العاديين "وهنا يتساءل رامزي ما الذي سيحدث لو أن إحدى هذه النسخ أو مجموعة منهم قررت أن تمارس حقها الطبيعي؟ألن يحدث خلل في النظام ككل ؟ وفي سبيل أن لا يحدث أمر كهذا لابد من وضع قوانين صارمة لمثل هؤلاء الأشخاص أو أن يتم عزلهم وفي كلتا الحالتين فإن حرية الإنسان وإرادته ستصبح مقيدة بالإضافة إلى هذا على أي أساس يتم تحديد معايير الشخص المراد استنساخه فالقرار لابد أن يكون في يد مجموعة معينة فهل هذه المجموعات هي الحكومات أم العلماء أم

[1] المرجع نفسه، ص 194

الفلاسفة مثل ما حلم أفلاطون فهل هذا الإجراء سيمنح القوة لأقلية محددة تتحكم في المجتمع مما يعني "أنه ستكون هناك سيطرة كاملة على حرية الإنسان وعدم احترام البشرية "[1] *أما اللاهوتيين فهم لا يوافقون على العملية لأنهم يرون أنها تحول الإنسان إلى معرض لقطع الغيار تؤخذ منه أنسجة وأعضاء متى احتاجها الآخرون فإن هذا الأمر "يلغي إنسانية الكائن البشري بحيث يتحول إلى مجرد وسيلة لتحقيق غاية"* [2]

ثم إن "إخضاع البشر للتجارب والتعامل معه وكأنه حيوان أو نبات يعتبر عملا غير إنساني وغير مشروع " [3] بالرغم من أن ما ينتجه الإنسان هو ما يميزه عن باقي المخلوقات إلا أن هذا لا يمنحه الحرية في فرض السيطرة على الآخرين حتى ولوا كان يرى في ذلك مصلحة للبشر .

المطلب الثالث:القضايا الأخلاقية التي يثيرها الاستنساخ

الاستنساخ الحيوي هو بمثابة كابوس مرعب فلقد كتبت "جريدة الأنباء في تاريخ 1986.10.11. خبرا صغيرا من لندن جاء فيه أن الخبراء في جامعة أبسالا السويدية تمكنوا العام الماضي من إنتاج نسخ أصلية جديدة لمومياء طفل يعود تاريخه إلى 400 عام قبل الميلاد "[4]

فالمقصود من هذا الخبر طبعا هو نجاح عملية الاستنساخ على البشر لكن على شكل مخنط أي مومياء فهذا يفتح على البشرية باب عالم جديد ومرعب ستنقلب فيه كل قواعد وأسس الإنسانية وان أول قيمة من القيم الإنسانية التي تتأثر وسيتم استبعاد معانيها هي العائلة والأمومة "إن الاستنساخ الحيوي يمكن أن يؤدي إلى

[1] ناهدة البقصمي ،مرجع سابق، ص 194
[2] المرجع نفسه، ص 195
[3] المرجع نفسه، ص 195
[4] ناهدة البقصمي،مرجع سابق، ص210

القضاء على مفهوم الوالدية فنحن في ظل تطور كهذا لا نعود بحاجة إلى وجود الأب أو الأم بقدر ما نحن بحاجة إلى مؤسسة كبيرة تقوم برعاية النسخ " [1]

فإن النسخ لا تحتاج إلى أسرة بمعناها الحالي لوجود الأب والأم ورعاية الأسرة إنها تحتاج فقط لمؤسسة منظمة بالتنظيم الرقمي فالنسخة هي مجرد رقم في المجموعة فبعدما ألغينا مفهوم الأسرة بالمؤسسة سوف نلغي الإنسانية بالأرقام وهو يشبه الآلة في هذه الحالة "وهو لا يستطيع أن يختلط بمن يشاء من الناس "[2]

وبالتالي فهو لن يكون عائلة بحسب قراره الشخصي وإنما هو مجبر على الاختيار من طرف الدولة لأنها هي الأعلم بالمصلحة العامة وبما تقرر لكل فرد فيها كيف يعيش وهذه الفكرة ليست بجديدة فإنها تشبه حلما من أحلام أفلاطون التي جاء على ذكرها في الجمهورية وكذلك المسألة لا تحتاج إلى عاطفة في زمن الاستنساخ فإنه إذا فُقدَ شخص عزيز استعاض عنه بشبيهه أو بنسخته فهو لن يشعر بالحزن عليه أبدا فالبديل دائما موجود.

بحصولنا على أطفال من المطبعة الالكترونية فهل من طريقة يا ترى يمكن أن نوصل بها معاني الأمومة ونبرمجهم على الإحساس والعاطفة"فإننا دون شك أمام عالم غريب تقاس فيه الأشياء بقدر ما توصلنا إلى نتائج فيها مصلحة المجتمع وحده "[3]

الصفوة المختارة

لقد فهمنا من النقطة السابقة أن ولاء المجتمع المستنسخ سيكون للدولة التي هي السبب في وجودهم والدولة هي التي ستستفيد منهم كلٌ حسب قدراته وهي نفسها محددة من طرف الدولة فالحكومة في المستقبل سوف تفرض معياراً سيتم على أساسه اختيار الصفوة المختارة ولكن مسألة كهذه ليست سهلة كما يرى بول رامزي"ذلك لأننا استبعدنا الصعوبات المترتبة بتحديد من الأصلح والخير ومن هو السيئ أومن هو الشخص

[1] المرجع نفسه، ص211
[2] المرجع نفسه، ص211
[3] ناهدة البقصمي،مرجع سابق ، ص212

المؤهل أو ما هي الصفات الوراثية المرغوبة التي يجب أن تفرض على الجميع وإذا استبعدنا فكرة من هو الشخص المؤهل لأن يختار مثل هذه المعايير وحتى لو اعتبرنا مثل هذه التكنولوجيا خيرا للبشرية لأنها ذات نتائج ايجابية لمستقبل الإنسان فإنها لن تكون خيرا بسبب سيطرة هذه التكنولوجيا سيطرة كاملة على حرية الإنسان وعدم احترامها لإنسانيته" [1]وهذا ما يشكل خطورة على استقلاليته وكرامته الإنسانية،"ومن المؤكد أننا في حاجة إلى نوع جديد من السلطة ومفهوم جديد للعلاقات بين البشر حتى نأمن عدم استغلال هذه الكشوف ضد مصلحة الإنسان " [2]

المساس بحريته واستقلاله

لكي يكون الإنسان إنسان يجب أن تكون مقاليد القدرة بيده وأن يكون لديه تلك القدرة على أن يقرر ويتحمل تبعات قراره فهذه القدرة تمنحه الحرية والاستقلالية لكن في المجتمع المستنسخ الذي يبحث عنه علماء البيولوجيا اليوم يفقد الإنسان معاني الحرية لأنه سيكون تحت سيطرة الآخرين بشكل تام "فان المجتمع هو الذي سيحدد نوعية الناس الذين سيتم استنساخهم ويسمح للبعض بالاختلاط ويمنع البعض الآخر خوفا من اختلاط مورثات غير مرغوب فيها"[3]

و بهذا يفقد حريته لأنه تم تقرير نوعية أفعاله و سلوكه فهي مفروضة عليه فإذا لا حضنا أن النقاط الثلاثة السالفة الذكر هي ميزات الكائن البشري الذي يملك حقوقا أخلاقية

فبعد ما هدرت كرامته وانتهكت حريته وسلبت منه عاطفته وجرد من استقلاليته فماذا بقي لهذا النوع البشري الجديد من قيم، لكن المؤيدين للاستنساخ الحيوي ينصحون بعدم معالجة قضايا مستقبلية "من خلال الحاضر وألا نحكم على المستقبل من خلال قيمنا ومعتقداتنا الحالية "[4]

مسؤوليتنا تجاه المستقبل

[1] المرجع نفسه ، ص 213
[2] فؤاد زكريا،مرج سابق،ص 193.
[3] ناهدة البقصمي، مرجع سابق ،ص213.
[4] المرجع نفسه، ص 213.

لم يعد مستقبلنا الوراثي مأمونا وسواء أحببنا ذلك أم لا فإن تغييراً جذريا سيصيبنا إذا لم نقرر مصيرنا المستقبلي"ومن الغايات الأخرى التي ينبغي أن يستهدفها الإنسان في تخطيطه للمستقبل رعاية مصالح الأجيال التي سوف ترثه على هذه الأرض وهو أمر لا يستطيع الإنسان الحالي أن يدعي أنه يشغل أقل قدرة من اهتمامه "[1]

ولكن يتم تقرير مصيرنا المستقبلي وفق شروط كما يرى "كاستونجي فهو يذهب إلى أننا لكي نقرر أي أمر مرتبط بمصير الأجيال القادمة لابد أن نضع في اعتبارنا أن هناك حداً أدني من الاحتياجات البشرية المرتبطة بالغرائز لا يجب أن تتغير "[2]

مما يعني أننا لا يمكن أن نتنبأ بمتطلبات الأجيال الآتية فلذلك نفترض وجود حد أدنى من الغرائز التي لا يجب أن تتغير حتى يبقى البشر ينتمون لدائرة البشرية.

[1] فؤاد زكريا ،مرجع سابق ،ص 188.
[2] ناهدة البقصمي ،مرجع سابق ص214

تمهيد:

إن تطور العلوم الإنسانية عبر التاريخ مرافق لتطور الإنسان، ذلك أن وعي الإنسان هو انعكاس لظروفه المعيشية ولقد احتاج الإنسان إلى أربعة ملايين سنة حتى أصبح إنساناً اجتماعياً ونظرا لهذه التطورات صرنا نشهد تغيرات واضحة المعالم على واقعنا المعاش ونشهد وجه آخر لهذا التطور فمن سماته انه ظهرت لنا مهنة النساء الحاضنات والمؤجرات لأرحامهن وهذا ما سنسلط عله الضوء في هذا الفصل .

المبحث الأول: مهنة النساء الحاضنات والمؤجرات لأرحامهن

المطلب الأول: مفهوم الحضانة لغة واصطلاحا

أولا: مفهوم الحضانة لغة

"الحضانة لغة بفتح الحاء وكسرها، مأخوذة من الحضن بالكسر، وهو ما دون الإبط إلى الكشح، أو هو الصدر والعضوان وما بينهما"[1]

ويقال حضن الصبي حضنًا وحضانة أي جعله في حضنه ورباه.

وللحضانة ثلاثة معانٍ لغوية:

ا"لضم: يقال حضن الطائر بيضه أي ضمه إلى نفسه تحت جناحه.

المنع: يقال حضنت الرجل عن هذا الأمر إذاً نحيته عنه وصرفته ومنعته.

التربية: يقال حضن الصبي حضنًا وحضانة أي كفله ورباه وحفظه"[2]

ثانيا: مفهوم الحضانة اصطلاحا

"التزام الطفل لتربيته والقيام بحفظه وتدبير شؤونه، هي القيام بحفظ من لا يميز ولا يستقل بأمره، وتربيته بما يصلحه بدنياً ومعنوياً، ووقايته عما يؤذيه.

وهي واجبة في حق الحاضن إذا لم يوجد غيره، أو وجد ولكن المحضون لم يقبل غيره؛ لأنه قد يهلك، أو يتضرر بترك الحفظ، فيجب حفظه عن الهلاك، والوجوب الكفائي يكون عند تعدد الحاضنين.

والحضانة تكون للنساء والرجال من المستحقين لها، إلا أن النساء يقدمن في الحضانة على الرجال؛ لأنهن أشفق وأرفق بالصغار، وإذا لم يكن لهن حق في الحضانة تصرف إلى الرجال؛ لأنهم على الحماية والصيانة وإقامة مصالح الصغار أقدر.

وحضانة الطفل تكون لوالديه إذا كان النكاح قائماً بينهما، أمَّا إذا تفرقا فالحضانة للأم ما لم تنكح زوجاً أجنبياً من المحضون،ومقتضى الحضانة هي حفظ المحضون، وإمساكه عما يؤذيه، وتربيته حتى يكبر، وعمل جميع ما هو في صالحه: مِنْ تعهد طعامه، وشرابه، وغسله، ونظافته ظاهراً وباطناً، وتعهُّد نومه، ويقظته، والقيام بجميع حاجاته، ومتطلباته"[3]

---

[1] الفيروز أبادي:**القاموس المحيط**،ج4ص217.

[2] ابن منظور:**لسان العرب**، ج13ص123

[3] عقلة، محمد: **نظام الأسرة في الإسلام**، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، ط(2)، 1411هـ- 1990م، ص76.

المطلب الثاني: مهنة النساء الحاضنات

إن الطفل لا يحتاج فقط إلى من يوفر له أمور وحاجيات الأكل والنظافة والنوم فقط وهو "الدور الذي يمكن أن تؤديه أي خادمة أو حضانة ولكن الطفل يحتاج ضمن إلى الحنان وعاطفة الأمومة التي لا يمكن للخادمة مهما أوتيت من ثقة وأمانة وحنان أن تعطيها له؛ لأن هذا الطفل أجيرها فقط، وهي تعمل كأي عامل يؤدي عمله على حسب ما يساويه الأجر فقط، ولا يمكن لعاطفة الأمومة أن تُباع أو تُستعار أو تكتسب لأنها فطرة الله التي فطرها الأم عندما حملت جنينها ووضعته وليدا وألقمته بعد ذلك صدرها، ناهيك عن الأطفال وهم في سن المراهقة، وهم في سن الشباب"[1]

لقد تعدى عمل المرأة خارج البيت إلى الأجنة حيث حرصت المرأة العاملة على التخفف من الحمل والميلاد لتتفرغ لعملها، وحتى لا يشغلها، فرغبت في التخلص من ذلك عن طريق منع الحمل والإجهاض وربما رغبت عن الزواج أيضاً، واستعاضت عنه بالخلان والعياذ بالله.

إن علم النفس وعلم التربية يقرر أن تفرغ الأم لوليدها ضرورة حيوية لكل من الولد والوالدة، فالأم تشعر بحاجتها إلى الأمومة التي تدفعها إلى تحمل مشقة الحمل والميلاد وخدمة الطفل، والطفل في حاجة إلى حنانها وعطفها وحبها وحنوها أكثر من حاجته الغذائية فقط، وإن خروج المرأة من البيت غالباً يعني إهمال النشء، وهذا يهدد الأجيال القادمة بفساد التربية وحرمان الأمة من المواطن الصالح، المواطن الذي يصلح للعمل،لتشغيل المصانع المواطن الذي يحسن التفكير والاختراع، المواطن الذي يعيش لأمته وشعبه ووطنه[2]

ولقد طرح أحد أعضاء مجلس الشعب المصري وهو سعد الدين شريف فكرة أن تكون المرأة العاملة في البيت وتأخذ نصف المرتب، إذا تزوجت وأنجبت حتى تتفرغ لتربية الجيل الجديد الذي يحتاج إلى رعايتها وعنايتها، وهذا الاقتراح نوقش في مجلس الشعب المصري دليل على أهمية الموضوع .[3]

المطلب الثالث: الجانب الأخلاقي للمؤجرات لأرحامهن

لقد كرم الله تعالى الإنسان من لحظة خلقه وتكوينه ووهبه العقل البشري الذي بسببه ارتقى الإنسان عن باقي المخلوقات فقال تعالى "**ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** "[4]وكذا كرم سبحانه وتعالى الزواج في الإسلام ووضعه في ميزان راقي بأن جعل العلاقة الزوجية سبيلا للمودة والرحمة والسكن والتناسل"[5] وجعل من ثمرة

---

[1] فريدة صادق زوزو ،**أثر عمل المرأة خارج البيت على استقرار بيت الزوجية** – ماليزيا نموذجاً ، ط1، الهيئة المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 42.

[2] المرجع السابق، ص50.

[3] محمود محمد الجوهري، **الأخت المسلمة أساس المجتمع الفاضل**، ط1،دار المعرفة، بيروت،2010 ، ص 19.

[4] سورة التين:الآية 4.

[5] يوسف عبد الرحمن: **قضايا فقهية معاصرة**،القاهرة، دار الفكر العربي ،2004،ص9.

هذا الزواج زينة ثمينة وغالية على قلوب البشر فقال عز من قائل "{المالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا} "[1] فعملية الإنجاب والولادة هي عملية مهمة جدا وضرورية لاستمرار الحياة البشرية ولذلك كان حفظ النسل من الضرورات الخمسة في ديننا الحنيف .

إن عملية الإنجاب واضحة في الشريعة الإسلامية، حيث تكون بعد زواج صحيح ،بين الزوج وزوجه "{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}"[2]

هذا هو الطريق السليم والمشروع الذي أقره الإسلام للتناسل، ولكن و جد في عصرنا هذا طرق جديدة التكاثر إن هذا العقل البشري الذي منَّ الله به على الإنسان استطاع وبمساعدة التكنولوجيا المتطورة وتقدم العلم أن يوفر للناس طرق جديدة للتكاثر ومنها ما يعرف باستئجار الأرحام أو "زرع بويضة امرأة في رحم امرأة أخرى" وله تسميات كثيرة وهذا الأسلوب يعتبر احد أساليب التلقيح الصناعي و قد اشتهر باسم "تأجير الأرحام" لأنه يتم فيه إخصاب بويضة زوجة بنطفه من مني زوجها، ثم تزرع اللقيحة في رحم سوي لامرأة أخرى مدة الحمل و تسلمه لأبويه بعد ولادته،مقابل أجر متفق عليه غالبا, ,ويكون الأمر تطوعا في بعض الأحيان.

وقد أطلقت تسميات عده على هذا النوع من التلقيح منها "الرحم الظئر" و"شتل الجنين" و"الأم الحاضنة"و"الأم البديلة" و"الرحم المستعار" و"البطن المؤجر" وتعبير "تأجير الأرحام" هو الذي اشتهر في أوروبا وأخيرا في مصر "[3]

نحن نعيش اليوم في زمن السرعة، وزمن تتجدد فيه الأمور، وتتسارع في الظهور وتنتشر آثارها ويتناقل الناس أخبارها، وذلك بصورة لم يسبق لها نظير في الأزمان الماضية، نتيجة لما أحدثه التطور العلمي والتقني المذهل في كل مناحي الحياة، وخاصة في مجالات العلوم الطبية والبيولوجية، التي تؤثر في حياة الناس تأثيرا مباشرا إذ تقدم إليهم حلولا لمشكلات كانت في الزمن الغابر مستعصية الحل، ومن هذه الأمور التلقيح الصناعي والذي من إحدى صوره ما يعرف باستئجار الأرحام وهو الحل المغري الذي جاء لحل مشكلات الحمل والولادة لدى من لم تواتهم فرصة الإنجاب الطبيعي"[4]

فعلى الطبيب المسلم بداية دراسة هذه القضية بشكل جاد ،فعلى كل طبيب أن يقوم باجتهاد شخصي يبحث القضية من ناحية طبية ومن ناحية شرعية فيدرس آراء الفقهاء ويقف على الآثار المختلفة (الاجتماعية،أخلاقية،نفسية) المترتبة على هذه المستجدة، وبعد دراسة القضية بشكل شامل، على كل طبيب أن

---

[1] سورة الكهف:الآية46.

[2] سورة الاعراف:الاية189.

[3] ،يوسف عبد الرحمن، المرجع السابق ،ص7.

[4] المرجع نفسه، ص7

يبلور ويبني الموقف المناسب تجاه هذه القضية شرط أن لا يناقض الشريعة الإسلامية وأن يعمل وفق ما وجده مناسبا معتمدا بذلك على الأدلة الشرعية، فإذا وجد الطبيب المسلم أن قضية استئجار الأرحام مثلا تتناقض مع أخلاقيات الطبيب المسلم التي وقفنا سابقا عليها، وتتعارض وتعوق عملية بناء مجتمع سليم صحيا ونفسيا وخلقيا، فيتوجب عليه عندها أن لا يشجع انتشار مثل هذه المستجدات وان يتوقف عن تطبيقها عمليا في المستشفى أو من خلال عمله كطبيب، كما وعليه أن يستغل طبيعة عمله وتعامله مع الناس لتوعيتهم وتحذيرهم بشأن هذه المستجدات والقضايا، أما إذا رأى الطبيب المسلم أن مثل هذه القضايا أو أن قضية تأجير الأرحام يمكن أن تحصل في المجتمع والأسرة المسلمة بظروف معينة حيث لا يترتب على حدوثها عواقب وخيمة أو آثار سلبية معتمدا بذلك على أدلة شرعية، فلا بأس في أن يشارك في تطبيق مثل هذه القضايا، ولكن كما ذكرت سابقا هذا كله يجب أن يكون بعد دراسة شاملة وناقدة وبعد تفكر وتأمل جدي وكبير في هذه القضايا، لان مثل هذه القضايا بإمكانها أن تؤثر بشكل كبير جدا على المجتمع المسلم وعلى أفراده الذين هم نواة هذا المجتمع، والطبيب المسلم بوظيفته ومكانته التي يمنحها له أبناء المجتمع المسلم يلعب دورا كبيرا في مثل هذه القضايا"[1]

منذ أن ظهر أول مولود أنبوبي انتشرت طرق التلقيح والإنجاب المتطورة، فكان ذلك في 10 نوفمبر 1977م حيث وضعت "ليزلي براون" أول مولود أنبوبي "لويزا براون"، وذلك في بريطانيا على يد الطبيبين استبتوا وادوارد حيث قاما بتلقيح بويضتها بمني زوجها، واشتهرت لويزا وتحدثت عنها جميع وسائل الإعلام وراقبتها أبصار العالم ناعتة إياها بطفلة الأنبوب ومن بعدها انتشرت مواليد أطفال الأنابيب في العالم، في أعقاب هذه القضية تولدت قضايا جديدة وأساليب تلقيح جديدة، ولقد انتشرت قضية استئجار الأرحام بعد أن رفضت "ماري وايتهد وهي "م مستعارة تسليم الطفلة المولودة التي حملتها بالنيابة، إلى الزوجين (المتبرع بالمني والمتبرعة بالبويضة) اليزابيث ووليام شيرن اللذين كانا قد تعاقدا معها. بعد رفض السيدة ماري وايتهد تسليم الطفلة توجه الوالدان إلى محكمة الأسرة في نيوجرسي (هارفي سوروكو) وهناك حكم القاضي برفض طلب ماري وايتهد في استعادة الوصاية المؤقتة على الطفلة، والتي كانت تبلغ من العمر آنذاك خمسة شهور، أما "وليام" والد الطفلة فكان سعيدا إزاء هذا الحكم، ووعد بأن يسمح للسيدة "وايتهد" بزيارة الطفلة مرتين في الأسبوع"[1]

في هذه القضية حكم القاضي بصحة التعاقد، الذي أجراه الزوجان لدى المحامي "نويل كوين" صاحب الوكالة التي أشرفت على توقيع العقد، وقد أعلن كوين أن "ماري وايتهد" لم تكن أول أم بالوكالة في الولايات المتحدة، فقد رفضت قبلها أربع أمهات بالوكالة تسليم أطفالهن، إلا أن "ماري" كانت الأولى التي تصل قضيتها إلى المحكمة، وأضاف أن 65 طفلا أمريكا ولدوا ذاك العام وفق عقود تأجير الأرحام، وأن في أمريكا

---

[1] السباعي زهير،**الطبيب أدبه وفقه**، ط1، دار القلم ، دمشق،1997،ص 37+50.

[1] إيمان عكورة ،**هل الرحم قابل للتأجير قضية عاطفية في المحكمة تتعلق بإمكانية الولادة بالنيابة**،جريدة الرأي الأردنية1987 عن مجلة التايم العدد41 جامعة اليرموك،عمان ص 12.

اثني عشر مركزاً لخدمة هذا النوع من الإنجاب"[1]إن نازلة استئجار الأرحام تتكون من صور وأساليب تلقيح مختلفة هذه الأساليب المختلفة تجمعها حقيقة واحدة" وهي كون الرحم مستأجرة، فالتي تحمل لا تكون الأم الحقيقية، ومن هذه الأساليب تؤخذ النطفة من الزوج وتأخذ البويضة من الزوجة، وتتم عملية التلقيح في المختبر ثم تزرع اللقيحة في رحم امرأة غريبة أجنبية عن الزوج والزوجة "[2]

وفي هذه الصورة لا تعاد اللقيحة إلى الزوجة لأنها تكون غير قادرة على الحمل أو تكون غير راغبة في الحمل ترفها

أخذ مني الزوج وبويضة زوجته وتلقيحها في طبق وبعد نمو اللقيحة تعاد إلى رحم زوجة أخرى للزوج متبرعة بذلك، (هذه الطريقة تتم فقط عند المسلمين، لأن الزواج من أكثر من واحدة لا يتم إلا لدى المسلمين"[3]

تكون البويضة من متبرعة، والحيوان المنوي من الزوج، ويتم الحمل والولادة من قبل امرأة متبرعة

وفي هذه الحالة تكون الزوجة عاقرا، حيث تكون غير قادرة على إنتاج البويضات وغير قادرة على الحمل ويكون رحمها غير صالح للحمل، قد تكون المؤجرة لرحمها هي ذاتها من تبرعت بالبويضات

أو غيرها وهنا الزوجة لا تستطيع إفراز البويضات أو الإنجاب بسبب مرض شديد في مبايضها ورحمها حيث لا تفرز بويضات، ولا يستقبل رحمها اللقيحة لتنمو فيه.

تتبرع امرأة أجنبية ببويضة، ويتبرع رجل أجنبي بحيواناته المنوية، وتقوم امرأة أجنبية أخرى بالتبرع برحمها ويلجأ إلى هذه الصورة حيث تكون الزوجة عقيما ولا أمل لها بالشفاء أو الإنجاب، وكذلك الزوج حيث يكون عقيما ولا أمل له بالإنجاب، عندها يتوجه الزوجان إلى أحد بنوك المني لشراء جنين مجمّد وبالاتفاق مع مصرف المني أو مع شركات أخرى مختصة بتأجير الأرحام، يقومان باستئجار رحم امرأة أجنبية لديها القدرة على الحمل، وبعد الوضع يستلم الزوجان المولود على أنه ابنهما"[4]

وهذه الحالة تستخدم في حال سلامة مبيض الزوجة، إلا أن رحمها يكون قد أزيل أو به عيوب خلقية، أو أن الحمل يسبب لها أمراضاً شديدة كتسمم الحمل، أو من النساء من يستخدمنها من باب الترفيه والمحافظة على القوام والتناسق الجسدي أو تخلصاً من متاعب وآلام الحمل والولادة، وعندما تلد الأم الطفل تسلمه للوالدين مقابل أجر متفق عليه مسبقاً لدى عقد العقد"[5]

تؤخذ البويضة من الزوجة ويؤخذ الحيوان المنوي من الزوج، ويتم تلقيحها خارجياً في طبق في المعمل وبعد تلقيحها تُنقل اللقيحة إلى جسم متبرعة بالرحم، شرط أن يكون هذا الأمر بعد وفاة الزوجين

---

[1] محمد باسل ،**المسائل الطبية المستجدة في ضوء الشريعة الإسلامية** ،ط1،القاهرة،الهيئة العامة للكتاب،2007،ص310.

[2] عيسى نضال:الطب الوقائي بين العلم والدين،سوريا،دار المكتبي،1997،ص253.

[3] محمدعلي البار ،مجلة مجمع الفقه الإسلامي،العدد الثاني،الجزء الأول،جدة، منظمة المؤتمر الإسلامي،1407ه،ص282.

[4] فهد السيوطي ،أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة ،ط1،دار المعارف ،لبنان:2010 ،ص 99-100.

[5] علي عارف،دراسات فقهية في قضايا معاصرة ،دار النفائس،الأردن:200،،ص813.

تلقح بويضة الزوجة بماء رجل غريب ليس زوجها، ثم تُزرع اللقيحة أو الجنين المجمّد في رحم امرأة أجنبية، وتستعمل هذه الصورة في حال كون الزوج عقيما، والزوجة عندها خلل في رحمها ولكن مبيضها سليم"[1] تؤخذ بويضة من الزوجة وحيوان منوي من الزوج، ويتم تلقيح البويضة خارجياً، ثم توضع اللقيحة في رحم أنثى حيوان يصلح لاحتضان البويضة الملقحة، فيحل رحمه محل رحم المرأة لفترة من الزمن ثم يعاد الجنين بعدها إلى رحم الزوجة "[2]

المبحث الثاني: الطابع التجاري لزراعة الأعضاء

المطلب الأول: الترجمة الأخلاقية لزراعة الأعضاء

أصبح موضوع الاتجار بالأعضاء البشرية من أهم الموضوعات القانونية في الوقت الراهن، فقد حظي هذا الموضوع باهتمام كافة الدول،و المنظمات الدولية والإقليمية، وترجع أهمية تجريم الاتجار بالأعضاء البشرية إلى أن محل الجريمة استغلال أعضاء جسم الإنسان باعتبارها سلعة تباع وتشترى؛ وهو ما يُشكل انتهاكاً لحقوق الإنسان، واعتبارها أحد أشكال الجريمة من خلال إبرام اتفاقية الأُمم المتحدة لمكافحة الجريمة المُنظمة عبر بروتوكول باليرمو، كما اهتم بهذا الموضوع أيضاً الاتحاد الأوروبي وجامعة الدول العربية، فضلاً عن اهتمام العديد من التشريعات المُقارنة والعربية ،ترجع خطورة الاتجار بالأعضاء البشرية باعتباره أحد الموضوعات بالغة الدقة التي أفرزتها الأبعاد الحديثة للجريمة وأحد صور الجريمة المُنظمة التي باتت تُمثل خطراً داهماً يهدد سيادة القانون واستقرار المُجتمعات"[3]

أضف إلى ذلك انتشار وتعاظم حجم هذه الظاهرة في العديد من المناطق، نذكر منها دول الصين الهند،البرازيل ففي الصين قام البعض بعرض بيع أعضائهم البشرية على الإنترنت، بالشكل الذي أضحى فيه نقل الأعضاء هو أربح عمل في روسيا، بل إن المحكوم عليهم بعقوبة الإعدام في الصين يتم بيع أعضائهم البشرية مقابل 10 آلاف دولار للكلية الواحدة، حيث يأتي المرضى للصين من ماليزيا وإندونيسيا وسنغافورة[4].

فضلاً عن ظهور بعض المؤشرات في الآونة الأخيرة في بعض الدول التي تشير إلى ظهور تجارة مُربحة في الأعضاء البشرية من خلال وسطاء وسماسرة ومُتاجرين، يضطلعون بأنشطة إجرامية غير مشروعة في هذا المجال، حيث وجدت بعض حالات لتصدير الأعضاء البشرية باستخدام وثائق مُزورة، كما كشفت حالات لجثث موتى في مشارح لم يطالب بها أحد كانت محلاً لانتزاع أعضاء بشرية منها ووجدت بعض حالات للاتجار بالأطفال بغية استغلالهم في عمليات نقل وزراعة الأعضاء

---

[1] على العارف، مرجع سابق ، ص 816-817.

[2] محمد عقلة، **نظام الأسرة في الإسلام**،ج1، ،مكتبة الرسائل الحديثة، عمان ،1989ص 156.

[3] نضال، عيسى. **الطب الوقائي بين العلم والدين**،ص80.

[4] ناهدة البقصمي، مرجع سابق ص56.

كما تُشير التقديرات إلى أن صور الاتجار بالبشر المُختلفة ومنها الاتجار بالأعضاء البشرية – أضحت حالياً تُمثل ثالث أكبر نشاط إجرامي في العالم، يحقق أرباحاً بعد الاتجار في السلاح والمُخدرات، بل إن البعض يتوقع بأن تتقدم هذه التجارة (تجارة الأشخاص) في المستقبل على تجارة السلاح؛ فهي تشكل بالنسبة لعصابات الإجرام المُنظم مخاطر أقل عن تجارة المُخدرات والسلاح، ناهيك عن أن تعاظم الأرباح التي يمكن تحقيقها من خلال استغلال الإنسان عدة مرات لفترة طويلة من الزمن

وأخيراً تكشف جرائم الاتجار بالأعضاء البشرية عن حالة كُلٍ من الجناة والمجني عليهم والمجتمع الداخلي بل والدولي؛ فهي تكشف عن الخطورة الإجرامية لدى الجناة؛ إذ يمتهنون التجارة في أعضاء البشر؛ وهو ما يشير إلى وجود خلل نفسي لديهم، كما تشير هذه الجريمة إلى ضعف حال المجني عليهم الذين تدفعهم الظروف إلى بيع أعضاؤهم البشرية كسلعة تباع وتشترى. كما تكشف جرائم الاتجار في البشر عن ضعف المجتمع الداخلي والدولي في مواجهة هذه الظاهرة نظراً لوجود قصور في التشريعات الدولية والوطنية لمواجهة هذه الجريمة.

المطلب الثاني: الأعضاء البشرية بين التبرع والبيع والمتاجرة

ترجع نشأة تجارة الأعضاء البشرية إلى ما بعد النصف الثاني من القرن العشرين حيث تخطت زراعة الأعضاء مرحلة التجارب إلى مرحلة التطبيق الآمن خاصة بعد عام 1970 ، ويعد الرقم العالمي في زراعة الأعضاء وتحملة فتاة أمريكية زرع لها سبعة أعضاء في جسمها عام 1997 بينما زرع خمسة أعضاء (الكبد ، البنكرياس ، المعدة ، الأمعاء الغليظة ، الأمعاء الدقيقة) لشخص في العقد الرابع بولاية ميامي في الولايات المتحدة الأمريكية واستغرقت العملية 72 ساعة متصلة .

وعليه فإن ظاهرة الاتجار بالأعضاء البشرية حديثة بالمقارنة مع الظواهر الإجرامية الأخرى حيث أدى التطور التقني والعلمي إلى الانتقال من مجال التجارب الصناعية واستخدام الهندسة الطبية إلى مجال التطبيق في زراعة الأعضاء البشرية البديلة .

يقصد بالاتجار بأنه مصدر يقصد به البيع والشراء بقصد الحصول على ربح وهو التجارة

وإذا كان محل التجارة مشروعاً كانت مشروعة كالاتجار في السلع والبضائع ، أما إذا كان محل التجارة غير مشروع فهي تجارة غير مشروعة كالاتجار في المخدرات والاتجار في بني البشر ومثله عدم جواز نقل عضو من جسم بشري مقابل ثمن من أجل الاتجار ، ويحظر إنشاء مؤسسات تجارية تهدف إلى الاتجار في الأعضاء البشرية أو التوسط في معاملات تكون موضوعاً لهذه الأعضاء فهذه المعاملات باطلة بطلاناً مطلقاً"[1]

ويقترح البعض بأن يكون التنازل عن بعض أعضاء الجسد بدون مقابل وأساس ذلك تعارض البيع والشراء مع كرامة الإنسان ومن ثم لا يجوز أن يكون هناك مقابل مادي أو نقدي أو على شكل هدية

[1] عبد الله صادق ،**الهندسة الوراثة** ، سلسلة ثقافية نصف شهرية ،ج 2 ،دار الحرية للطباعة ،بغداد ،دت،ص60.

إن التصرف القانوني بالبيع في العضو البشري المكرر أو غيره في أثناء الحياة أو بعد الوفاة باطل لمخالفته قواعد النظام العام والآداب العامة وأن بيع الدم البشري أو الكلية أو القرنية مثلاً إنما هو عمل غير أخلاقي يرفضة الوجدان العام مهما كانت دوافعة ، كما أن إباحة تجارة الأعضاء البشرية يحول الإنسان من مخلوق كرمه الله إلى سلعه تجارية تخضع لسوق العرض والطلب وهذا ما لا يجوز ديناً وأخلاقاً وقانوناً .[1]

وعليه فإن الاتجار بالأعضاء البشرية هي كل عملية تتم بغرض بيع أو شراء للأنسجة أو عضو أو أكثر من الأعضاء البشرية وهي تجارة حديثة بالمقارنة بتجارة الأشخاص ، أما التبرع بدون مقابل فلا يعد من أعمال التجارة في الأنسجة أو الأعضاء البشرية .

ويؤكد تقرير جمعية الأخلاق الطبية الذي كشف عن أن الغالبية العظمى من عمليات نقل الكلى منذ بداية إجرائها في مصر وحتى اليوم تتم بطريق البيع والشراء وقد اتسعت هذه التجارة حتى تحولت القاهرة إلى سوق دولي لبيع الكلى من الفقراء المصريين إلى الأثرياء العرب أو المصريين وأصبحت هذه الحقيقة معروفة وثابتة في جميع الأبحاث التي تناولت القضية بالإضافة إلى ارتفاع عدد بلاغات المتغيبين والمفقودين إضافة إلى المخالفات ذات الصلة بمراعاة الأصول الطبية"[2]

المبحث الثالث: الرأسمالية البيولوجية

المطلب الأول: التنوع البيولوجي وأثره على اقتصاد الدول

تعتمد السلع والخدمات الأساسية التي ينعم بها كوكبنا على تنوع الجينات والتجمعات الحية والنظم الايكولوجية. فالموارد البيولوجية هي التي تمدنا بالمأكل والملبس، وبالمسكن والدواء والغذاء الروحي ومعظم التنوع البيولوجي في كوكب الأرض موجود في النظم الايكولوجية الطبيعية للإحراج ومناطق السفانا والمراعي بأنواعها والصحارى ومناطق التندرا والأنهار والبحيرات والبحار. كما أن حقوق الزارعة وحدائقها لها أهمية كبيرة بوصفها مستودعات، في حين أن مصارف الجينات وحدائق النباتات وحدائق الحيوان وغيرها من مستودعات الجبلات الوراثية تسهم في ذلك مساهمة قليلة ولكنها هامة. والتناقص الحالي في التنوع البيولوجي ناجم في معظمه عن النشاط الانساني ويمثل تهديدا خطيرا للتنمية البشرية.[3]

وعلى الرغم من تعاظم الجهود المبذولة على مدى العشرين عاما الماضية، استمر التنوع البيولوجي في العالم في التبدد بفعل أسباب أهمها تدمير المؤهل، والإفراط في الحصاد، والتلوث وتشكل الموارد البيولوجية أحد الأصول الرأسمالية التي تحمل إمكانيات هائلة قادرة على إدرار فوائد مستدامة. ويلزم اتخاذ إجراءات عاجلة وحاسمة

---

[1] ناهدة البقصمي، المرجع السابق ،ص60

[2] سيد البواب، الثورة العلمية التكنولوجية المعاصرة ،البيان للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 2001، ص2.

[3] مجلس الشورى ،الصناعات الإلكترونية ، مصر ، 1998ص19.

لحفظ وصيانة الجينات والنظم الايكولوجية، بغية إدارة الموارد البيولوجية واستخدامها على نحو مستدام. ويلزم القيام على الصعيدين الوطني والدولي بتعزيز القدرات على تقييم التنوع البيولوجي ودراسته وملاحظته منهجيا وتقديره ويلزم اتخاذ إجراءات فعالة على الصعيد الوطني والتعاون على الصعيد الدولي لحماية النظم الايكولوجية في أماكنها الطبيعية"[1] وحفظ الموارد البيولوجية والجينية خارج أماكنها الطبيعية وتحسين وظائف النظم الايكولوجية وتمثل المشاركة والدعم من جانب المجتمعات المحلية عنصرين ضروريين للنجاح في هذا النهج، وقد أبرزت منجزات التقدم الحديثة في مجال التكنولوجيا البيولوجية ما تحمله المادة الجينية الموجودة في النباتات والحيوانات والكائنات الدقيقة من إمكانيات راجعة للزارعة، وللصحة ولرفاه، والأغراض البيئية وفي الوقت نفسه، من المهم بصفة خاصة في هذا الصدد التأكيد على أن للدول الحق السيادي في أن تستغل مواردها البيولوجية طبقا للسياسات البيئية الخاصة بها، إلى جانب مسؤوليتها عن حفظ التنوع البيولوجي لديها واستخدام مواردها البيولوجية بصورة مستدامة، وكفالة ألا تسبب الأنشطة المضطلع بها في حدود ولايتها أو سيطرتها أضرارا بالتنوع البيولوجي في الدول الأخرى أو المناطق الواقعة خارج حدود الولاية الوطنية

أن الموارد البيولوجية تشكل أحد الأصول الرأسمالية التي تحمل إمكانيات هائلة قادرة على إدرار فوائد مستدامة، لذلك يلزم اتخاذ إجراءات عاجلة وحاسمة لحفظ وصيانة الجينات والأنواع والنظم الايكولوجية، بغية إدارة الموارد البيولوجية واستخدامها على نحو مستدام"[2].

وأنه يلزم القيام على الصعيدين الوطني والدولي بتعزيز القدرات على تقييم التنوع البيولوجي ودراسته وملاحظته منهجيا وتقدير قيمته الاقتصادية واتخاذ إجراءات فعالة على الصعيد الوطني والتعاون على الصعيد الدولي لحماية النظم الايكولوجية في أماكنها الطبيعية، ولحفظ الموارد البيولوجية والجينية خارج أماكنها الطبيعية .

المشاركة والدعم من جانب المجتمعات المحلية، تمثل عنصرين ضروريين للنجاح حيث أن منجزات التقدم الحديثة أبرزت في مجال التكنولوجيا البيولوجية ما تحمله المادة الجينية الموجودة في النباتات والحيوانات والكائنات الدقيقة من إمكانيات مهمة للزارعة، وللصحة والأغراض البيئية.

ومن الضروري التأكيد على أن للدول الحق السيادي في أن تستغل مواردها البيولوجية طبقا للسياسات البيئية الخاصة بها، إلى جانب مسؤوليتها في حفظ التنوع البيولوجي لديها واستخدام مواردها البيولوجية بصورة مستدامة، وكفالة ألا تسبب الأنشطة أضرارا بالتنوع البيولوجي في الدول الأخرى أو المناطق الواقعة خارج حدود الولاية الوطنية.

[1] مجلس الشورى،مرجع سابق، ص45

[2] المرجعنفسه، ص 55.

أن أهمية التنوع البيولوجي تأتي من اعتماد السلع والخدمات الأساسية التي ينعم بها كوكبنا على تنوع وتتباين الجينات والأنواع والتجمعات الحية والنظم الايكولوجية، فالموارد البيولوجية هي التي تمدنا بالمأكل والملبس، وبالمسكن والدواء والغذاء ومعظم التنوع البيولوجي في كوكب الأرض موجود في النظم الايكولوجية الطب

خلاصة الفصل

أدى التقدم العلمي والتكنولوجي في النصف الثاني من القرن العشرين إلى حدوث تطورات متلاحقة ومتداخل في التطبيقات البيولوجية. فقد أدى التقدم في علوم الإلكترونيات وفي تكنولوجيا تصنيع الدوائر المدمجة والكمبيوتر وبرامجه والاتصالات إلى سرعة نقل البيانات وتبويبها وتحليلها حتى تغطي مجالات متعددة مثل الاقتصاد والبنوك والصناعة والدفاع والزراعة والطب والبيئة والرأسمالية البيولوجية

حيث أحدث التقدم الهائل في التكنولوجيا الحيوية طفرة هائلة في العلوم الطبية والبيولوجية، وكان لها تأثير مباشر على صحة الإنسان وغذائه. كذلك فإن التطور في التكنولوجيا الحيوية قاد إلى استنباط عمليات صناعية ومنتجات جديدة وإلى قيام شركات جديدة وأدت كل هذه التطورات إلى عوائد اقتصادية هائلة.

تمهيد:

ربَّما يمكننا وصف مجال التَّفكير الفلسفي بكونه طباقي، وما نعنيه بالطباقيَّة هنا هو الانفتاح على إمكانية رؤية الأشياء والأفكار بمستويات متعدَّدة، كأنَّها طبقٌ يفضي إلى طبق. إذ كلَّما أمعن العقل الفلسفي بالتأمل أكثر تراءت له مستويات جديدة، وأوجه أخرى، وأبعاد مضمرة قد يصعب على غير العقل الفلسفي استشفافها لا ينطلق النَّظر الفلسفي إلى الأبعاد الأخرى من فراغ، بل من منطلقات نظريَّة سبق أن اكتُشفت وجرى التفكير فيها وربما اختبارها. ولهذا، فعندما تتحرَّك عمليَّة سبْر الأغوار المعرفيَّة فلسفيًّا، فهي تكون –في غالب الأحيان– على بيِّنة قبليَّة، من وجهة السَّير والمسار المختار للوصول لتلك الوجهة.

وفي ضوء هذه الفكرة، فإن مفهومًا فلسفيًّا جديدًا كالتَّضامر، ساعد في إعطاء بعض الأجوبة، قد يُمكننا إن دراستنا هذه ستسعى للنَّظر إلى البيوتيقا من خلال استشراف طبقة مضمرة من المفهوم المُظهر للبيوتيقا قاصدين من وراء ذلك، بذل الجهد للوصول إلى بُعدٍ آخر للنَّظر الفلسفي المعاصر لفعل ذلك، علينا أن نمهِّد للتحدُّث عن الأداة التي سنستخدمها في البحث، وهي مفهوم البيوتيقا، ثمَّ نوظِّف هذه الأداة في محاولة لحل الإشكاليات المتعلقة بالبيوتيقا.

المبحث الأول: بيوتيقا وحقوق الانسان والسياسة والدين.

المطلب الأول: بيوتيقا وحقوق الانسان

لقد ارتكزت العودة إلى القانون –في المجال الطبي/البيولوجي- على مبادئ حقوق الإنسان، بالإضافة إلى ارتباطها بالأخلاقيات التطبيقية وآداب مهنة الطب، ولذلك تطرح الحركة البيوتيقية معضلة كبيرة يمكن تشخيصها بالتساؤلات التالية: هل البيوتيقا في حقيقتها عودة إلى الأخلاق أم عودة إلى القانون؟ ويبين الوقوف على نشأة وتطور وحركية البيوتيقا أن الأمر يتعلق بتداخل بين الأخلاق والقانون أو بانتقال من الأخلاق إلى القانون أو بتحويل تدريجي للمعايير الأخلاقية إلى قواعد قانونية إلا أن عملية تقنين المجال الطبي لبيولوجي ترتبط بحركة حقوق الإنسان التي نشطت في هذا المجال مستنكرة ما يحصل فيه من تجاوزات لهذه الحقوق، ومنددة بما يعرفه من انتهاك لكرامة الإنسان ومنبهة لما يمكن أن يهدد الوجود الإنساني والبيئة الملائمة لهذا الوجود من جراء ما يحصل في هذا المجال من تجارب وأبحاث، ومن جهة أخرى ترتبط حركة حقوق الإنسان بدورها بالحقوق الطبيعية للإنسان المتمثلة أساسا في تلبية مطالبه الأساسية التي يمكن إجمالها في التغذية والصحة والأمن والتكاثر وتوفر البيئة الملائمة"[1]

إن هذه المطالب تعتبر اليوم مهددة، ويعتبر التقدم التكنولوجي من أهم العوامل التي تهددها، وذلك في نفس الآن الذي يساهم فيه في تلبيتها وتطويرها، إن الإنسان، باعتباره كائنا متميزا داخل الطبيعة يحتاج إلى تحقيق المزيد من التقدم في المجالات العلمية والتقنية والطبية، تماما كما يحتاج إلى الحفاظ على كرامته وهويته وبيئته، وهنا يبرز دور القانون لرسم الحدود بين الممكن والمحظور، بين الحقوق والواجبات، بين ما يمكن الاستفادة منه من مصالح وما يجب تحمّله من مسؤوليات.

بناء على هذا الارتباط الذي بدأ يتقوى في الوسط الأمريكي بالتدريج، بين الأخلاق والقانون وبالموازاة مع سيادة مبدأ "الاستقلال الذاتي للفرد" وترجمته قانونيا على المستوى التشريعي والتنفيذي والقضائي، ظهر عند الأمريكيين ما يعرف بـــ: أخلاقيات المرافعة أو الأخلاق المرافعاتية وذلك بفعل تضاعف أشكال التقنين التي تجمع بين إقرار القانون واحترام أخلاقيات الطب و البيولوجيا، وسنقف فيما يلي عند إحدى القضايا الأخلاقية التي تم الفصل فيها عن طريق المحكمة.

قضية Baby Doe التي أدت إلى نتائج هامة على مستوى الممارسة الطبية في الولايات المتحدة الأمريكية: لقد حصل والدان سنة 1973 من المحكمة على إذن يأمر الأطباء المعالجين بتوقيف ما كان يبقي طفلهما على قيد الحياة من أطعمة وأدوية، وقد كان هذا الأخير يعاني من قرح أدى إلى انسداد في البلعوم يستحيل معه ابتلاع الطعام، وكان بالإمكان معالجة هذه الحالة عن طريق عملية جراحية، إلا أن الوالدين رفضا ذلك لأن طفلهما كان مصابا بالمغلية ، وقد أثارت هذه الحالة آنذاك ضجة إعلامية

[1] ناهدة البقصمي، مرجع سابقص40.

دفعت بكاتب الدولة المكلف بالصحة للتدخل في المسألة والتذكير بالقانون الأمريكي الصادر ضد التمييز تجاه المعاقين وبناء على ذلك، اتخذ قرار حرمان المستشفيات التي تخرق هذا القانون من الدعم المالي الفدرالي. لقد تلت هذه القضية قضايا أخرى مماثلة لا يتسع المقام لذكرها لعل أبرزها قضية " Baby Jane Deo " وقضية " Karen Ann Quinlan [1]، وبذلك كانت الولايات المتحدة الأمريكية سباقة إلى ضبط الممارسات الطبية البيولوجية ضبطا قانونيا في اتجاه ما يخدم مصلحة المرضى ويدعم حقوق الإنسان، وبالتالي إلى تحويل بعض أخلاقيات الطب و البيولوجيا إلى قوانين سارية المفعول، إلا أن هذا التقنين لم يكن رغم ذلك شاملا لكل الولايات

بل نجد أن كل ولاية تقبل القوانين التي تلاؤمها وترفض غيرها، ولذلك سنقف عند النموذج الفرنسي الذي يتميز بعموميته، مما يؤكد أن الفكر البيوتيقي أكثر عالمية.

يتميز النموذج الفرنسي بريادته على المستوى الأوروبي في إطار البيوتيقا وبمحاولته، منذ البداية، توجيه النقد للنموذج الأمريكي، ويتجلى ذلك في الجدال الذي دار بين المفكرين الفرنسيين حول تسمية هذه القضايا الأخلاقية الجديدة التي يثيرها التقدم العلمي التكنولوجي في إطار الطب و البيولوجيا حيث رفض الكثير منهم، خلال الثمانينات من القرن الذي ودعناه، استعمال مصطلح البيوتيقا وفضلوا مصطلح "الأخلاق الطبية أو مصطلح "أخلاقيات الطب و البيولوجيا وإذا كان بعض الباحثين يرون أن ذلك راجع إلى تأخر الفرنسيين، مثلهم في ذلك مثل باقي الأوروبيين، في هذا المجال مقارنة مع الأمريكيين، فإن هذا النقص سيؤدي إلى تبلور حس نقدي لدى الفرنسيين تجاه البيوتيقا أما خلال التسعينات، فسيختلف الأمر حيث سيسود مصطلح البيوتيقا، وسيأخذ الفرنسيون الريادة من جديد، ولكن على المستوى العالمي هذه المرة، حيث تم إصدار ما يعرف بـــ: قوانين البيوتيقا وهي ثلاثة قوانين أساسية صوت عليها البرلمان الفرنسي، وذلك بعد نقاش ماراطوني بدأ منذ نوفمبر 1992 واستمر إلى غاية يونيو1994، وتفتخر فرنسا لذلك بكونها أول دولة أوروبية تتوفر على إطار تشريعي خاص بالبيوتيقا يضمن مرورها بشكل فعلي من الأخلاق إلى القانون، مما يصب

في اتجاه تأكيد تشبثها العملي بحقوق الإنسان.

إذا ركزنا على ما هو أساسي في هذه القوانين البيوتيقية الفرنسية، فسنجد أنها تؤكد على حقوق الإنسان البيولوجية وضرورة احترام الإنسان بشكل عام وجسمه بشكل خاص، إن هذه القوانين تحضر التصرف في الجسم الإنساني: فلا أحد يحق له أن يتصرف في جسم غيره سواء في حياته

أو بعد مماته إلا بموافقته، كما يمنع في نفس الإطار الاتجار في الجسم الإنساني حتى من طرف صاحبه وهذا ما يفسر إقرار السلطات الفرنسية اعتماد المواطنين على بطاقة المتبرع ، إن القانون يعطي الأولوية للشخص

[1] عبد الله صادق ، مرجع سابق ،ص55

الإنساني، ويمنع أي نوع من أنواع النيل من كرامته، ويضمن احترام الكائن الإنساني منذ بداية حياته، ولكل واحد الحق في أن يحترم جسمه: إن الجسم الإنسان مصون ويمنع انتهاكه ولا يمكن لأعضاء ومنتجات الجسم الإنساني أن تورث و يمكن للقاضي أن يتخذ كل الإجراءات اللازمة لمنع

أو توقيف أي اعتداء محظور على الجسم الإنساني، أو أية تصرفات محظورة تتعلق بأعضاء أو منتجات هذا الأخير ولا يمكن النيل من وحدة الجسم الإنساني إلا في حالة الضرورة العلاجية الخاصة بالشخص"[1]

لقد كان إصدار القوانين البيوتيقية الفرنسية منطلقا حقيقيا لعملية تقنين متزايدة، محلية ودولية للمجال الطبي لبيولوجي، إلا أن درجة الإلزامية القانونية تختلف من بلد إلى آخر، وذلك لأن الأمر يرتبط بدور الدولة تجاه المواطنين وتجاه الفاعلين داخل المجتمع: فغياب التقنين على المستوى المركزي،في الولايات المتحدة الأمريكية، باستثناء ما يتعلق بزرع الأعضاء، يدل على ضعف تدخل الدولة في الحياة الاجتماعية نتيجة تقوي التوجه اللبرالي، ويوجد نفس التقليد اللبرالي وراء إصدار القانون الإنجليزي المتعلق بالتخصيب الإنساني وعلم الأجنة ، بينما نجد أن دولا أوروبية أخرى كفرنسا وألمانيا تتوفر على نصوص قانونية أكثر إلزامية بحيث أنها تحد من حرية الاختيار فيما يتعلق بالتكاثر الإنساني مثل القانون الألماني

نستنتج مما سبق أن نشأة البيوتيقا ارتبطت بعملية تقنين محلية ودولية، وقد انتدبت لجان جديدة من أجل اقتراح القوانين الملائمة للمجال الطبي لبيولوجي، وهي ما يعرف بـــ: "اللجان الأخلاقية ويمكن اعتبار ا للجن الأخلاقية مؤسسات جديدة أو أدوات تشريعية جديدة تعرف نموا وتزايدا في العالم أجمع، وقد نشأت استجابة لأمور عدة أهمها:

مطالبة الباحثين والسياسيين بضرورة تحمل المسؤولية تجاه ما يطرحه التقدم العلمي في المجال الطبي لبيولوجي من مشاكل أخلاقية تمس كرامة الإنسان وتهدده في وجوده ومستقبله والتماس تأطير للممارسات التجريبية المتجددة في هذا المجال.

الوعي بضرورة إقامة جسر تواصل بين العلم التجريبي الموضوعي من جهة، وبين مختلف المظاهر الرمزية للعالم التي تنتجها الأخلاق والأديان والفلسفات والآداب والحاجة إلى مراقبة وفحص دقيقين ينظمان ممارسات العاملين في ميادين علوم الحياة والطب والصحة، وذلك إما على ضوء القيم والمبادئ الأخلاقية، حسب توجه البيوتيقا الأمريكية، أو من وجهة نظر تنطلق من عالمية حقوق الإنسان حسب التوجه الأوروبي والفرنسي بشكل خاص. وعلى غرار الفكر البيوتيقي، ظهرت اللجان الأخلاقية في الولايات المتحدة وكندا، وذلك منذ بداية الستينات من القرن الماضي، وتنقسم

إلى نوعين أساسيين حسب ميادين الممارسة التي ترتبط بها وهي: "لجن أخلاقيات البحث العلمي ولجن أخلاقيات الطب عيادي"[1]، وسنقتصر على ذكر النموذج الأول: يتمثل العمل الأساسي

[1] جوزيف معلوف ،**الأخلاق والطب،دط**، لمكتبة البولسية، لبنان،1997 ، ص179

الذي تقوم به لجن أخلاقيات البحث العلمي في مراجعة مسألة الموافقة الواعية وسرية المعلومات الخاصة بالمرضى أو الأشخاص الذين تجرى عليهم التجارب، وإذا كانت هذه اللجان ترجع

إلى الحاجة لحماية الأشخاص من مخاطر الأبحاث والتجارب العلمية، فإن السلطات الأمريكية لما سمحت لمؤسسات البحث العلمي أن تتحمل بنفسها مسؤولية فحص ومراقبة الطبيعة الأخلاقية لمشاريع البحث، قد فتحت الباب أمام ظهور أهداف أخرى، ويعتبر بعض الباحثين ذلك مجازفة

من طرف الحكومة الأمريكية، إلا أنها مجازفة ديمقراطية أدت إلى تحمل الوسط العلمي لمسؤولياته بنفسه وإذا كان بعض الباحثين يعتبر ذلك القرار إيجابيا ويؤكدون أن هذه المؤسسات قد استطاعت رفع التحدي، فإن البعض الآخر يرى أنه من السابق لأوانه الجزم بذلك حاليا، خاصة وأن واقع بعض لجن أخلاقيات البحث العلمي يؤكد أنها انحرفت عن غايتها الأساسية والتي هي حماية حقوق المرضى وأشخاص التجارب بل إنها كثيرا ما تحولت إلى غايات معاكسة تماما لذلك لما أصبحت تقوم أساسا بحماية مؤسسات البحث العلمي من انعكاسات لجوء بعض المرضى والأشخاص الذين تجرى عليهم التجارب أو ذويهم إلى المحاكم"[2]

المطلب الثاني: البيوتيقا والسياسة

إن النتائج المحققة والمحتملة في الميدان الطبي ولبيولوجي وخاصة في إطار تقنيات الإنجاب الحديثة وتقنيات الهندسة الوراثية، أقنعت السياسيين والرأي العام على حد سواء أنه لم يعد ممكنا ترك التجريب والبحث العلميين في المجال الطبي لبيولوجي، و محاولة التحكم في ولادة الإنسان وموته وجهازه العصبي، و التصرف في الجينات البشرية في يد العلماء الاختصاصيين وحدهم، مادام الأمر مرتبطا بالوجود البشري ومصيره، وهويته وكرامته ومستقبله على ظهر الكرة الأرضية ولذلك تقرر أن يتدخل علماء الأخلاق ورجال الدين والسياسة، وعلماء النفس والاجتماع، وخاصة الفلاسفة ورجال القانون ويجب أن تتضافر الجهود من أجل تسطير قواعد أخلاقية يلزم أن يراعيها الباحثون في المجال الطبي لبيولوجي وقد حققت أخلاقيات الطب البيولوجيا خطوة هامة حين اتخذت طابعا أكثر إلزامية لما أصبحت ترتبط أكثر فأكثر بالقانون، فأين يتجلى الارتباط القائم بين البيوتيقا بالسياسة؟

علاقة البيوتيقا بالسياسة موضوع قائم بذاته يحتاج لمقال مستقل سننجزه إذا أتيحت الفرصة لذلك

أما الآن فسنكتفي بهذه الخطوط العريضة

منذ الأربعينات من القرن الماضي والأصوات تتعالى وتحذر من مخاطر الأبحاث الطبية وقد ازدادت حدة هذه التحذيرات مع توالي العقود، إلا أن العقدين الأخيرين من القرن العشرين عرفا، بسبب تزايد وتفاقم المشاكل الأخلاقية التي يطرحها المجال الطبي من جهة وبسبب الفراغ القانوني الحاصل في هذا المجال من جهة ثانية، سعيا

---

[1] عبد الله صادق ،مرجع سابق ،ص50

[2] ،جوزيف معلوف ،مرجع السابق، ص .44-43

حقيقيا للانتقال من الأخلاق إلى القانون ولقد أدى ذلك بالتالي إلى تطور القضايا البيوتيقية من جهة، وإلى تطور القانون بدوره من جهة ثانية

يمكن أن نقول بناء على ما سبق أن الفكر الأخلاقي الجديد هو أيضا فكر قانوني جديد وأن العودة إلى الأخلاق في المجال الطبي صاحبتها عودة إلى القانون وقد تم تتويج هذه العودة إلى الأخلاق أو ما يسميه البعض أيضا بـــ: الانتقال من الأخلاق إلى القانون، بإنشاء مبحث قانوني جديد يهتم بتنظيم القضايا المستجدة في ميادين الطب و البيولوجيا والصحة، وقد أطلق عليه اسم: لقانون الطبي ويختلف القانون الطبي عما يعرف بالطب الشرعي كان القضاء والعدالة يستعينان بالخبرة الطبية لحل مشكلات قانونية في إطار الطب الشرعي فإنه على خلاف ذلك يستعين الطب و البيولوجيا

في إطار لقانون الطبي، بالقانون لتسوية معضلات أخلاقية تثيرها الممارسة الطبية"[1]

المطلب الثالث: البيوتيقا والدين

لقد كانت النشأة الرسمية للبيوتيقا سنة 1971، إلا أن الفكر البيوتيقي أو أخلاقيات الطب و البيولوجيا قد عرف بدايته الفعلية قبل ذلك خلال الستينات من القرن الماضي وخاصة بعد الفضائح التي عرفها ميدان الطب و البيولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية والتي نشر هنري بيتشر أهمها في مقال له يحمل عنوان أبحاث أخلاقية طبية في جريدة ليومية الطبية لإنجلترا الجديدة وقد مرت علاقة البيوتيقا بالدين بثلاثة مراحل أساسية

*تمتد المرحلة الأولى من أواخر الستينات إلى أواسط السبعينات من القرن العشرين وفي هذه الفترة بدأ الانفصال عن الأخلاق الطبية الكلاسيكية التي كانت تحت هيمنة رجال الدين المسيحي والكاثوليكيين منهم بشكل خاص وقد كان هؤلاء هم الذين يتكلمون باسم الأخلاق وقد يكون ذلك من الدوافع الأساسية التي جعلت البروتستانت في طليعة من صنع الحدث البيوتيقي وعلى رأس هؤلاء جوزيف فليتشر وجيمس تشيلدرس و وليام مي وجيمس غستافسن الخ. وبذلك كان المجال المعرفي الأساسي الذي شكل مرجعا للجمعيات الأخلاقية الأولى كان هو الدين وليس الفلسفة أو القانون"[2]

إن رجال الدين المسيح واليهود هم من الأوائل الذين ساهموا في تأسيس الفكر الأخلاقي الجديد كانوا ينطلقون من حمولة أخلاقية دينية كلاسيكية ومن فكر إنساني يقوم على مفاهيم ذات حمولة دينية قوية مثل الإحسان والشفقة والتعاطف مع المريض، ومن استنكار الممارسات لا إنسانية التي أصبحت تتزايد نسبتها في المجال الطبي إلا أن كون أغلب هؤلاء المفكرين والعلماء من البروتستانت فيفسر كيف سيتحوّل الفكر البيوتيقي، في وقت وجيز لا يتعدى العقد الواحد من فكر أخلاقي لاهوتي إلى فكر أخلاقي جديد يرفض الوصاية الدينية للفكر الأخلاقي الديني المسيحي

---

[1] يرغين هابرماس، مرجع سابق،ص31

[2] طه عبد الرحمن، **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، ط1،المركز الثقافي العربي،بيروت ،1998 ص146- 147.

*تمتد المرحلة الثانية من أواسط السبعينات إلى نهاية الثمانينات من القرن الماضي، وتتميز العلاقة بين البيوتيقا والدين في هذه المرحلة بتراجع الخطاب الديني مع مجيء الفلاسفة ورجال القانون بكثافة
إلى الميدان البيوتيقي، وتزايد أعداد اللجان الأخلاقية والبيوتيقية التي تشخص الطابع التعددي للخطاب البيوتيقي، وفي هذا الإطار، لابد من الإشارة إلى ما عرفته هذه الفترة من انتقال للفكر البيوتيقي إلى أوروبا، وخاصة الدول الغير الناطقة بالإنجليزية وقد شهدت هذه المرحلة حدثا هاما
على المستوى الأوروبي حيث أسست فرنسا سنة 1983 لجنتها الأخلاقية الوطنية والتي تؤكد بدورها إقصاء رجال الدين من النشاط البيوتيقي، وسيتم رفض مشاركتهم في الحوار البيوتيقي، بل وحتّى حضورهم في اجتماعات اللجان الأخلاقية إلا كملاحظين أو كمشاركين عاديين لهم رأي إلى جانب الآراء الأخرى المتعددة دون أية وصاية أو طابع توجيهي.[1]

من جهة أخرى تم استبدال مبادئ الإحسان والتعاطف مع المريض بمبادئ أخرى على رأسها مبدأ الاستقلال الذاتي وحق المريض في تقرير مصيره بنفسه، واستبدلت النزعة الإنسانية الدينية بنزعة حقوق الإنسان كما بدأ التفكير عمليا في تحويل أخلاقيات الطب و البيولوجيا أو المبادئ الأخلاقية التي تحرك العاملين في الميدان الطبي إلى تشريعات قانونية، تنظم هذا المجال وتعرّض كل من ينتهك حقوق المرضى أو كرامتهم للعقوبات المختلفة، وتفتح المجال أمام المرضى لكي يقابلوا العاملين في المجال الطبي والبيولوجي أمام المحاكم وهكذا انتقلت مسؤولية الأطباء والباحثين من مسؤولية أخلاقية دينية إلى مسؤولية قانونية مدنية"[2]

*تمتد المرحلة الثالثة من أواخر الثمانينات من القرن الماضي إلى أيامنا هذه وتتميز علاقة البيوتيقا بالدين في هذه المرحلة بالرجوع إلى القضايا الدينية بقوة وذلك تحت ضغط الاهتمامات الاقتصادية التي أصبحت تشغل بال العاملين في المجال الطبي لبيولوجي بالإضافة إلى تزايد اهتمام علماء الدين بالقضايا البيوتيقية والمعضلات التي أفرزتها الثورات الأخيرة التي عرفتها ميادين الإنجاب الاصطناعي والهندسة الوراثية وزراعة الأعضاء، وهكذا طال النقاش الديني قضايا أطفال الأنابيب وبنوك المني والاستنساخ وقد شارك علماء الإسلام بدورهم في هذا النقاش، وقد تمثل ذلك في الندوات التي تقام هنا وهناك حول هذه القضايا الجديدة، كما أنشأت لهذا الغرض مجمّعات فقهية تشبه إلى حد ما اللجان الأخلاقية التي انتشرت في المجتمعات الأوروبية والأمريكية وخاصة على مستوى تشكيلها فهي لا تتشكل من الفقهاء المتخصصين في الشريعة الإسلامية فحسب بل نجد
إلى جانبهم الأطباء وعلماء البيولوجيا وعلماء النفس والاجتماع والاقتصاد والقانون وغيرهم"

---

[1] رجاء بن سلامة، **مقال: البيوطيقا: سلطة التّقنية وتنافر القيم** ،17 ماي 2016،موقع: حصاد، رابط المقال:
http://vf11.blogspot.com/2009/12/blog-post_1383.html

[2] المرجع نفسه

المبحث الثاني: البيوتيقا ومستقبل البحث العلمي

المطلب الأول: التعرف إلى البيوتيقا

البيوتيقا وكما عرّفها دافيد روا مدير مركز البيوتيقا بمونريال هي "الدّراسة متعدّدة الاختصاصات لمجموعة الشّروط التي يفرضها التّسيير المسئول للحياة البشريّة في إطار التّطوّرات السّريعة والمعقّدة للمعارف وللتّقنيات البيوطبية"[1]

إنَّها الدراسة الفلسفيَّة للجدل الأخلاقي الذي أوجده التقدُّم الكبير في علوم البيولوجيا والطب فهي تهتم بالمسائل الأخلاقية التي برزت في العلاقات بين علوم الحياة التكنولوجيا الحيويّة و الطب والسياسة ولقانون و الفلسفة واللاهوت"2

استعمل لفظ بيوتيقا لأوَّل مرَّة سنة 1970 من قبل العالم الأمريكيّ في طبّ السرطان فان رانسيلاير بوتار في مقال عنوانه: البيوتيقا علم البقاء وهو ما يدعو إلى إبداع اختصاص جديد يبحث في البيولوجيا والقيم الإنسانيَّة معًا. ومع ذلك، فإنَّ البيوتيقا باعتبارها مجالا في التفكير،كانت قد نشأت سنة 1945 خلال دعوى نورمبارغ القضائيّة المكلّفة بمحاكمة تجارب النازيّين الطبيّة"3

إنَّ البيوتيقا تمثِّل المجال الفكريّ المقترن بتقنيات الطبّ الحيويّ الحديثة الهادفة إلى التوفيق بين البحث العلميّ واحترام الكرامة البشريّة.

إنَّ وصف البيوتيقا بأنَّها مجال فكريّ يختلف عن وصفها بالأخلاق كما نبَّه على ذلك الباحثين"[4]

ففي الطبيعة، فإنَّنا لا نرى إلا انعكاسات لا متماثلة لحقيقة واحدة، تنزع نحو تجاوز الذَّات بأيِّ شكلٍ من الأشكال

من المهم الإشارة هنا إلى أنَّ الفيلسوف الألماني يرغين هابرماس نبَّه لهذا التقابل بين الدينيّ والعلميّ ف"أنْ يكون الإنسان بطل التطور أو أنْ يلعب دور الله كلاهما تعبير مجازيّ يشير إلى تحوُّل النَّوع ذاتيًّا وهذا ما يبدو أنَّه سيكون في متناولنا سريعًا"[5]

وهنا تحضرُني مقولة نيتشه والتي قد تبدو في أحد جوانبها صحيحة، وهي التي يقول فيها على لسان زرادشت: " الإنسان شيء يجب تجاوز

---

[1] رجاء بن سلامة **مقال: البيوطيقا: سلطة التّقنية وتنافر القيم**،17 ماي 2016 موقع: حصاد، رابط المقال:

2- نبيل فياض **مقال: البيوطيقا: الحتمية الأخلاقية لاختفاء الله!**،17 ماي 2016،موقع: الأوان.

3- مصطفى القلعي، **من مقال منشور باللغة الفرنسية، البيوطيقا سلطة التقنيّة وتنافر القيم**، ترجمة: رابط المقال: http://souad-anfal.blogspot.com/2011/05/1.html

4 دون مؤلف،البيوطيقا البترا للطباعة والنشر، 2010.ص40.

5- يرغين هابرماس،مرجع سابق، ص31.

المبحث الثالث: بيوتيقا في الوطن العربي

المطلب الأول: اخلاقيات الطب في العالم الاسلامي

العالم العربي الإسلامي اهتم أهل القضاء بهذا الموضوع منذ زمان فأول فتوى تسمح بأخذ القرنية قد صدرت عن الشيخ حسن المأمون مفتي مصر في14 أفريل 1959. ثم أصدر المفتي الشيخ الحريد 1966 فتوى تسمح بأخذ الأعضاء لغرض العلاج و في سنة 1979 أصدر المفتي المصري الشيخ جاد الحق فتوى تسمى أخذ الأعضاء من الأحياء المتبرعين ومن المتوفين الذين تركوا وصية في ذلك[1]

وفي الجمهورية التونسية حيث صدر قانون سنة 1991 وهو ينص على ما يلي : "يشترط في المتبرع أن يكون رشيدا سليم المدارك العقلية متمتعا بالأهلية القانونية الكاملة" وكما ينص الفصل 3 من نفس القانون على أن يجوز أخذ عضو من شخص ميت لغاية علاجية أو علمية ما لم تحصل من الهالك ممانعة في قائم حياته أو بعد وفاته من أحد أفراد عائلته كما أنه لا يجوز أخذ عضو من جثة قاصر أو محجور قصد زرعه إلا بموافقة وليه الشرعي

و أما مشروع القانون العربي الموحد لعمليات زراعة الأعضاء البشرية الذي أعدته الجامعة العربية سنة 1998فهو ينص "و يشترط في المتبرع أو الموصي أن يكون كامل الأهلية قانونيا و يكون التبرع أو الوصية صادرا بموجب إقرار كتابي موقع "[2] وهناك قضايا أخلاقية تثيرها عملية زرع الأعضاء تجاه قلة الأعضاء التي ستتفاقم بلا شك ولا يمكن أن ننكر إزاء مثل هذه المآزق أن المال سيرجح في غياب التشريع ولا شك أن التشريع ضروري لكن أخلاقيات الطبيب و أخلاقه التي يفرضها على نفسه هي التي تجنبه المظالم و التجاوزات و لئن كانت الاختيارات لا مفر منها فهي دائما مصحوبة بشعور أخلاقي بعدم الرضا"[3] أما عن **قضية الإنجاب بمساعدة** التي تطرح جملة من التساؤلات على مستويات مختلفة: التقنية و الطبية و الفلسفية سواء تعلقت بأخلاقيات الحياة أو بالتشريع أو بعلم الاجتماع ويقول فضيلة الشيخ محمد الحبيب بلخوجة و فضيلة مفتي الجمهورية التونسية في هذا الموضوع : "فإذا كان علاج حالة العقم يستدعي تلقيحا صناعيا و ذلك بحقن رحم المرأة بماء الرجل ذاته أعني زوجها فإن هذا التصرف مقبول شرعا و قانونا مشروع لا إثم فيه ولا حرج منه يتحقق به الحمل و تحصل به زينة الحياة و يمتد به وجود الأسرة و تتوفر به السعادتان النفسية والاجتماعية مع ثبات المودة و دوام العشرة

و إذا كان الرجل هو العقيم لزم علاجه و في هذا المجال ينبغي أن يتقدم العلم و يظهر تطوره و رقيه

---

[1] يرغين هابرماس، مرجع سابق ،ص162.

[2] المرجع نفسه، ص 163.

[3] المرجع نفسه ،ص163.

و لا يجوز أخذ ماء رجل آخر غير الزوج الشرعي فإنه حرام "[1]

أما عن مداولة الجينات و انتقاءها فهي آخر ما خرج علينا من الوسائل الطبية الحديثة وهي لا تزال في مراحلها الأولى غير أنها و من بدايتها تطرح أصعب المشاكل الأخلاقية فهذه الطريقة تتصل مباشرة بالمكونات الوراثية للفرد (الجينات) و قد تكون لها انعكاسات إيجابية أو سلبية على الفرد والمجتمع بأسره فمداواة الأجنة في مرحلة البويضة يؤدي حتما إلى التأثير على المكونات الجينية بصفة دائمة

ومتوارثة جيل عن جيل و هذه الطريقة مرفوضة مبدأ و تطبيقا إذ أنها تؤدي إلى تغيير تركيبة المجتمع.

و في نفس السياق فإن المعلومات عن الجينوم قد تؤدي هي الأخرى إلى إتباع سياسة انتقاء على أسس الجنس أو المؤهلات البدنية و حتى المؤهلات الذهنية يحقق العلم بها حلم انتقاء الجيني أخطر مظاهر العنصرية"[2]

هذه جملة من الخواطر و التساؤلات حول الأخلاقية الطبية العامة يمكن أن نقول مع تطور المجتمعات تطورت الطرق الطبية و ظهرت وسائل تقنية جديدة زادت من مسؤولية الطبيب و لكنها في نفس الوقت غيرت العديد من المفاهيم حول تصرف الطبيب و التعامل معه وطرحت قضايا أخلاقية جديدة.

[1] دراسة منشورة ضمن أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، أيام 21-22-23 حول موضوع: سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر،الدار البيضاء،2011، ص109-137.

[2] عمر بوفتاس، أثر فلسفة الحق الكانطية في تأسيس البيوإتيقا، ضمن أعمال المائدة المستديرة: فلسفة الحق: كانط والفلسفة المعاصرة، تنسيق: محمد المصباحي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2007، ص232-233.

المبحث الرابع:البيوتيقا ومشكلات الحياة الراهنة(نظرة نقدية)

المطلب الأول:البيوتيقا والمهمة الفلسفية

إلى وقت قريب جدا كان يتم تدريب الأطباء للعمل على نحو أبوي من دون اهتمام برأي المريض و تفضيلاته كما تقول سوزان شروين "واليوم استقر علم أخلاقيات الطب ليقلص اليد العليا للأطباء على المريض ويدعم استقلاليته المريض فيكون القرار المتخذ جيدا لأن المريض نفسه هو من اختاره

وصارت قواعد الأخلاق المتبعة اليوم هي استقلالية المريض التامة ،وعدم الإضرار به وفعل الأصلح ومراعاة العدالة ،لكن قد تتضارب هذه المبادئ ويكون لا مفر من الحاجة إلى اختبار العامل الأكثر أهمية في ظروف معينة "[1]

وإن ربط الحياة بالأخلاق هي السبيل إلى التحكم بسلطان العلم وجنون التكنولوجيا ،ومن الجهل الظن أن العلم يسيطر على كل الاحتمالات بل هو في من قضاياه لم يعد قادراً على إثبات مقولة أو نفيها وليس المهم متى تبدأ الحياة لكن الأهم هو متى تصبح للحياة قيمة أخلاقية ، لذلك عندما تطرقنا لفلسفة الهندسة الوراثية ،فهي لا تنظر من زاوية تحليل أو تحريم التدخل بل تطرح إشكال كبير يمس جوهر الفعل الإنساني :هل يجب ترك الفعل الإنساني دائما من دون حدود ؟في الولايات المتحدة ظهرت نزعة محافظة تنادي بالعودة إلى ما قبل عصر الأنوار لذلك يرى هابرماس أنه يجب تجنب هذه الردة العقلية والحفاظ على شعلة العقلانية متقدة ،فانهيار القناعات الأخلاقية سيجرنا حتما إلى عالم الغاب ،فلا وجود للحرية من دون احترام هذه الحرية لدى الآخر ونحن نعطي أنفسنا الحق في اختيار الطبيعة التي يجب أن يكونوا عليها ويخشى هابرماس "[2] من قدرة المجتمع الليبرالي على خلط الأوراق باسم الحرية بين مولود خال من الأمراض الخطيرة ومولود كامل الذكاء والجمال والمواصفات علاوة على كون السماح للدولة بالتدخل في مجال الحياة الخاصة ينذر بالعودة إلى الوراء في مجال حقوق الفرد

[1] جوزيف عطية ،مرجع سابق، ،ص 82.

[2] المرجع نفسه ص 92

خلاصة الفصل

يتبين مما سبق أن الفكر الأخلاقي الجديد الذي ارتأينا نعته بالفكر البيوتيقي يتميز بما يلي
من سمات البيوتيقا أو الفكر الأخلاقي الجديد أنه ذو طابع تركيبي حيث يعتبر ملتقى لأهم المجالات المعرفية المعاصر يرتبط الفكر الأخلاقي الجديد بالفكر الاقتصادي نظرا لما يحصل من استغلال اقتصادي لمنجزات التقدم العلمي في المجال الطبي وما يصاحب ذلك من انتهاك لحقوق الإنسان وتهديد لإنسانيته ووجوده الحاضر والمستقبل
اقتضى ذلك الإسراع في اتخاذ إجراءات محلية ودولية للانتقال من الأخلاق إلى القانون وتحويل المبادئ الأخلاقية المتفق عليها إلى قواعد قانونية سارية المفعول
عرفت العلاقة بين البيوتيقا والدين توترا منذ نشأتها ولم يمنع ذلك من مشاركة علماء الدين باختلاف مذاهبهم في النقاش البيوتيقي
تدين الفلسفة للبيوتيقا في إخراجها من حالة العقم والاجترار التي أصابتها في العقود الأخيرة وذلك بما أتاحه الفكر البيوتيقي من مناقشة عميقة لقضايا فلسفية أصيلة ترتبط بالذات والشخص والحياة والموت والوجود والمصير والعلاقة مع الآخر وذلك في وسط جميع الفئات الاجتماعية وليس وسط الاختصاصيين وحدهم
ينتظر من الفكر البيوتيقي أن يساهم في ترسيخ قيم الديمقراطية والحوار والتسامح والتضامن وحقوق الإنسان خلال القرن الواحد والعشرين
إن ما أفرزته التكنولوجيا الحيوية من قضايا متعددة بدءا بأطفال الأنابيب، ووصولا إلى وضع الخريطة الجينية للإنسان، ومرورا بالأرحام المستأجرة والبنوك الحيوية وزرع الأعضاء والتحكم في الدماغ البشري والاستنساخ. وتطرح "إشكاليات أخلاقية" تثير اليوم الكثير من الجدل الفلسفي والقانوني والديني وقد انصبت فقط على الجانب الأخلاقي.

الخاتـــــــــــمة

إن من خلال تناولنا لمشكلات الحياة الراهنة الناتجة عن التطور الكبير الذي حدث في مجال العلوم الطبية والحيوية جعلنا نكتشف أن مشكلات كهذه يجب أن تطرح وتكشف قبل أن تحل فإن المشكلات التي تتعلق بالإنسان والأخلاق لابد من خلقها قبل حلها ونحن في الأخير نرجو أننا أثرنا هذه القضايا للفت الانتباه لها وليس بغية إيجاد حل لها وكذا نحكي في الأخير أن الأخلاق يجب أن تكون هي المرافق الرسمي لكل هذه التطورات فالأخلاق لابد من أن تكبح جماح التطور وتقوده إلى الطريق الآمن لصلاح البشرية وأصبح من الضروري لنا العودة إلى الأخلاق من جديد لضبط التقدم الهائل المتحقق في علم الأحياء نفسه لأنه بات يهدد هوية الإنسان وثقافته وقيمه ولقد توجت العودة بتكوين مبحث جديد يسمى الآن أخلاقيات علم الأحياء أو البيوتيك والذي كان محل اجتماع بين عدة مجالات وتداخلها ففيه تجلت لنا صلة الفلسفة بمشكلات الحياة الراهنة فالفلسفة هي واقع معاش في هذا الحال فلقد نزلت من برجها لتشرف بنفسها على مناقشة إشكالات جديدة في يوميات التطور العلمي المشهود فهنا نشهد ممارسة الفلسفة الفعلية في كشف لنا عما هو مستتر فنحن كنا لوقت قريب نرى أن بالعلم يمكن أن تحل جميع مشاكل البشرية في حين توضح لنا اليوم العكس بفضل الروية النقدية لعيون الفلسفة فيجب أن يكون حضور الفلسفة والأخلاق كمرافق للتطورات العلمية وبالأخص فيما يتعلق بإنسانية الإنسان فهي صارت مهددة وخاصة حين أمكن التدخل في أدق جزيئات الإنسان وهذا ما لامسناه في الهندسة الوراثية وتحسين السلالةو الاستنساخ ...الخ

وفي الأخير نخلص إلى انه يجب أن تتضافر كل الجهود لجعل حياة الإنسان أفضل بدون تغييب جانبه الإنساني وعلى الأخلاق أن تلعب دور المراقب لتطور علوم الحياة فلبد من أن يكون هناك توجه من الأخلاق و في حضرة الفلسفة .

المراجع باللغة العربية .

01- أبو عرب أحمد ،**الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء** ، دط ،دار الفؤاد ،دب ،2010

02- البقصمي ناهدة ،**الهندسة الوراثية و الاخلاق**،سلسلة المعرفة ،العدد 174 ، الكويت ،1993 .

03- ابن منظور، **لسان العرب**، ج13،

04- بيروتي ماكس تر : وائل أتاسي ، **ضرورة العلم** ، سلسلة عالم المعرفة العدد 245 ، الكويت ، 1999 .

05- زكريا فؤاد ، **التفكير العلمي**،سلسلة عالم المعرفة ،العدد 3 ،الكويت ،1978 .

06- مستجير أحمد ، **الشفرة الواثية للإنسان**، سلسلة المعرفة ،العدد ،217 ،الكويت ،1997 .

07- نيتشه فدريك ،تر:المسكني فتحي ، **جينالوجيا الأخلاق**،ط1 ،دار سيناترا ،تونس ،2010 .

08. السباعي زهير.. **الطبيب أدبه وفقه**،، ط1، دار القلم ، دمشق،1997

09-. الكرمي زهير ، **العلم ومشكلات الإنسان المعاصر** ، سلسلة ، العدد 5 ،الكويت ،1978 .

10-البار محد علي، **مجلة مجمع الفقه الإسلامي**،الدورة الثانية ،العدد 2، الجزء 2،جدة، منظمة المؤتمر الإسلامي، جدة،دت .

11- باسل محمد ، **المسائل الطبية المستجدة في ضوء الشريعة الإسلامية** ،ط1، الهيئة العامة للكتاب القاهرة، 2007.

12- البواب سيد ، **الثورة العلمية التكنولوجية المعاصرة الثورة الصناعية الثالثة** ط2،ا لبيان للطباعة والنشر، القاهرة، 2001

13- بيرك جيمس ، **عندما تغير العالم** ،تر: ليلى الجبالي، سلسلة المعرفة ،العدد 185، دب ،1994

14- الجابري محمد عابد ، **قضايا في الفكر المعاصر**،ط1 ،مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، 1997

15- الجوهري محمود محمد ، **الأخت المسلمة أساس المجتمع الفاضل**، ط1،دار المعرفة، بيروت،2010 .

16- الحفار سعيد محمد ، **البيولوجيا و مصير الإنسان سلسلة عالم المعرفة ،دب ،1984 .**

17- حلمي أميرة مطر ، **جمهورية أفلاطون**،مكتبة الأسرة .

18- دراسة منشورة **ضمن أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء**، أيام **21-22-23** حول موضوع: "سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر"، الدار البيضاء ،**2011**

19- دون مؤلف ، **آفاق الهندسة الوراثية** ،مجلة الثقافة العالمية ،العدد 91 ،المجلس الوطني للثقافة و الأ دب ، الكويت 1998 .

20- الربيعي مصطفى ،**الوراثة و الإنسان** ،سلسلة عالم المعرفة ،العدد 100 ،دب ،1986

21- ريتشارد هتون ،هارسنياي، **التنبؤ الوراثي** ، تر :إبراهيم فهمي مصطفى ،سلسلة المعرفة ،العدد130 الكويت 1988

22- السيوطي فهد ، **أطفال الأنابيب بين العلم وا لشريعة** ،ط1،دار المعارف ،لبنان،2010

23- صادق عبد الإله ، **الهندسة الوراثية** ،سلسلة ثقافية نصف شهرية ، ج**2** ،دار الحرية للطباعة ،بغداد

24- صادق فريدة زوزو ،**أثر عمل المرأة خارج البيت على استقرار بيت الزوجية** - ماليزيا نموذجاً ، ط1، الهيئة المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006

25- صالح عبد الحسن ، **التنبؤ الوراثي مستقبل الإنسان** ، سلسلة عالم المعرفة العدد 48، الكويت ،1981 .

26- عبد الرحمن طه ، **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998 .

27- عبد الرحمن يوسف ، **قضايا فقهيه معاصرة** ، دار الفكر العربي ،القاهرة ،2004 .

28- عطية أحمد عبد الحليم ،**الأخلاق في الفكر العربي المعاصر** ،دط ،دار الثقافة للنشر و التوزيع ،القاهرة ،1990 .

29- عقلة محمد ، **نظام الأسرة في الإسلام**، ط2 ، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان ، 1990

30- عكورة إيمان ،**جريدة الرأي الأردنية عن مجلة التايم** ،العدد41 ،جامعة اليرموك، عمان. 1987

31- العمر عبد الله ، **العلم والقيم الأخلاقية** ، مجلة عالم الفكر ،العدد 4 ،دار وزارة الإعلام ،الكويت ،1900

32- عوض عادل ،**الأصول الفلسفية لأخلاقيات الطب** ، د ط ،دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية ،2011

33- فهمي مصطفى إبراهيم ،**علم الأحياء و الأديولوجيا و الطبيعة البشرية** ،سلسلة المعرفة ،العدد 148 ،الكويت ،1990 .

34- الفيروز أبادي ،**القاموس المحيط**،ج 4

35- كانط والفلسفة المعاصرة، ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الرباط، 2007.

36- ماير إرنست ، **هذا هو علم البيولوجيا**، تر: عفيفي محمود عفيفي ، عدد277 ،2002 .

37- مجلس الشورى ، **الصناعات الإلكترونية** ، مصر ، 1998 .

38- معلوف جوزيف ،" **الأخلاق والطب**"،د ط ، المكتبة البولسية، ، لبنان،1997 .

39- نضال عيسى ،**الطب الوقائي بين العلم و الدين**، دط ،دار المكتبي سوريا ،1997 .

40- هبرماس يرغين ، **مستقبل الطبيعة الإنسانيّة نحو نسالة ليبراليّة**، تر:جورج كتوره، ط1،المكتبة الشرقيّة، بيروت، 2006.

41- يوسف عبد الرحمن: **قضايا فقهية معاصرة**، دط ، دار الفكر العربي، القاهرة، 200.

المقالات :

42 - بن سلامة رجاء ،**مقال البيوطيقا سلطة التّقنية وتنافر القيم**،17 .ماي 2016، موقع: حصاد، رابط المقال: http://vf11.blogspot.com/2009/12/blog-post_1383.html

43 - بوفتاس عمر ، **أثر فلسفة الحق الكانطية في تأسيس البيوتيقا** ضمن أعمال المائدة المستديرة: فلسفة الحق:

44 - مصطفى القليعي ،من مقال منشور باللغة الفرنسية ، البيوتيقا سلطة التقنية وتنافر ،ترجمة: رابط المقال htt://souad anfal .blogspot .com لا /2011/05/01.html

الفهرس	الصفحة
مقدمة	**ص01**
الفصل الأول: الإطار المنهجي	**ص03**
تمهيد	**ص04**
الإشكالية الرئيسية والإشكاليات الفرعية	**ص04**
أسباب اختيار الموضوع وأهمية الدراسة	**ص05**
أهداف الدراسة والدراسات السابقة	**ص05**
المنهج المستعمل	**ص06**
مصطلحات الدراسة	**ص07**
صعوبات الدراسة	**ص07**
خطة الدراسة	**ص08**
الفصل الثاني:مدخل مفاهيمي	**ص09**
تمهيد	**ص10**
المبحث الأول : ماذا نعني بالبيوتيقا	**ص11**
المبحث الثاني :أصل التسمية وتاريخها	**ص12**
المبحث الثالث : مفهوم الأخلاق التطبيقية والأخلاق البيوتيقية	**ص13**
المبحث الرابع: البيوتيقا والفلسفة	**ص15**
خلاصة الفصل	**ص16**
الفصل الثالث: الإشكالات الأخلاقية الجديدة	**ص17**
تمهيد	**ص18**
المبحث الأول :مشكلات الولادة والإنجاب الاصطناعي	**ص19**
المبحث الثاني :الثورة في الهندسة الوراثية ومصير الجنس البشري	**ص30**
المبحث الثالث: مدى مشروعية الاستنساخ	**ص36**
خلاصة الفصل	**ص47**
الفصل الرابع : وجه آخر للتقدم في علوم الطبيعة والحياة	**ص48**
تمهيد	**ص49**
المبحث الأول : مهنة النساء الحاضنات والمؤجرات لأرحامهن	**ص50**
المبحث الثاني: الطابع التجاري لزراعة الأعضاء	**ص55**
المبحث الثالث :الرأسمالية البيولوجية	**ص57**
خلاصة الفصل	**ص60**
الفصل الخامس: علاقة البيوتيقا بالمجالات الأخرى	**ص61**
تمهيد	**ص62**
المبحث الأول : بيوتيقا وحقوق الإنسان والسياسة والدين	**ص63**
المبحث الثاني : بيوتقا ومستقبل البحث العلمي	**ص69**
المبحث الثالث: بيوتيقا في الوطن العربي	**ص70**
المبحث الرابع : البيوتيقا ومشكلات الحياة الراهنة نظرة نقدية	**ص72**
خلاصة الفصل	**ص73**
خاتمة	**ص75**
قائمة المراجع	**ص77**